أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب

د. محمد بن علي محمد العمري
أستاذ مساعد في النّحو والصّرف
جامعة أم القرى/ مكة المكرّمة

مُلَخَّصُ البَحْثِ

يتناول هذا البحث (أداء الكلام) الذي هو طريقة التلفظ به لإيصاله إلى السامع ، وعلاقة هذا الأداء بالمعنى والإعراب ، فبدأ بالتنبيه على خطر (أداء الكلام) من الناحية الشرعية ، ثم ألمح إلى اهتمام العرب البالغ بأداء كلامهم في عصور فصاحتهم ، ثم رصد مظاهر تأثير أداء الكلام في المعنى والإعراب، ثم عرض أفكار د.محمد إبراهيم البنَّا في علاقة الإعراب بالأداء وناقشها .

وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج ، أهمها :

- أنَّ تأثير أداء الكلام في المعنى والإعراب يظهر في صور متعددة ، هي: الوقف والابتداء ، والسكت، والروم والإشمام ، واختلاس الحركة ، والتنغيم .

- أنَّ (أداء الكلام) هو سبب الإلغاز في عدد كبير من الألغاز النحوية .

- أنَّ مراتب تلاوة القرآن (الترتيل ، والحدر ، والتدوير) يمكن أن تكشف لنا مراتب أداء العرب لكلامهم في عصور الفصاحة .

- أنَّ العلامة الإعرابية هي أهم قرائن المعنى على الإطلاق ، وهي أولاها بالدرس والتأليف ؛لأنها لا تضبط إلا بالتعلم ، بخلاف القرائن الأخرى التي يعلم بقليل من التأمل أنها طبعية سلقية باقية لا يحتاج في ضبطها إلى التعلم .

وفي البحث عدد من الشواهد المحللة ، وبعض التأملات الدقيقة ، والنتائج الجزئية الأخرى .

Speech Pronunciation and its effects on the Meaning and Syntax

Dr. Mohammed Ali Mohammed Alamry
Assistant Professor in Syntax and Morphology
Faculty of Arabic Language, the University of Um Al-Qura.

Research summary:

This research tackles speech pronunciation ,which is the way words are uttered and conveyed to the hearer, and the relationship of it to the meaning and syntax. So, it starts by paying the attention to the seriousness of the pronunciation of speech from religious perspective then it mentioned the great interest arabs has paid to the way of their pronunciation in their ages of eloquence. It observes the features of speech pronunciation effects upon the meaning and the syntax. Then it presented the thoughts of Professor Mohammed Ibrahim Albana regarding the relationship of the syntax to the pronunciation and discusses them.

The Reaseach has come up with a number of results such as:

The effects of speech pronunciation could be seen in different ways as in (waqf) stopping, (ebtida'a) starting, (As'sakt), (alrowm), Aleshmam, (Aktelas Alharaka), Altangheem.

The speech pronunciation is the reason behind many linguistic riddles.

The quranic recitation ranking (reciting, Alhader, and altadweer) can clarify Arabs speech pronunciation ranking in their ages of eloquence.

Syntactic marking is among the most important meaning indications ever. It deserve to be studied because it cannot be put without proper knowledge about it contrary to other indications that can be known by a little of examining since they can be acquired by intuition and stable and need not to be learned.

In the research there are many analyzed examples , careful observations and many other results

الكلام هو اللفظ المفيد ، وأداء الكلام : إيصاله إلى المستمع . قال ابن منظور " أدّى الشيء : أوصله ، والاسم الأداء "(١) .

فأداء الكلام هو التلفُّظ به حسب أعراف وقواعد معينة للتعبير عن المعاني المختلفة .

فاللفظ هو أهم مكوّنات الكلام ، إلا أنه في كثير من الأحوال مفتقر إلى مكوِّنات الكلام الأخرى ـ كعناصر السياق المقامي ، ومقاصد المتكلم ، ودلالات الصيغ ، ومعاني التركيب .... وغيرها – في إيصال المعاني الدقيقة إلى المستمع .

ولأن التفاوت سنة من سنن الله الثابتة تفاوت الناس في قدرتهم على أداء كلامهم في طبقات شتى ما بين عييّ لا يكاد يبين وما بين صاحب بيان يكاد يسمع من به صمم .

وهذا الكلام الذي يتفاوت الناس في أدائه شريان رئيس من شرايين الحياة وركن ثابت من أركانها ، ارتبطت به كثير من أمور الشرع ؛ فبه يُدخلُ في الإسلام ، وبه يذكر الله ويعبد ، وبه ينادى للصلاة ، وبه يقرأ القرآن ... ؛ والنية في كلِّ ذلك خلفه .

والكلام به يتعامل الناس ويتفاهمون ويتواعظون ويتعاقدون ويتخاطبون في أمور دينهم ودنياهم .

وبكلمة منه يخلع أقوى عقد في الحياة عقد النكاح ، والقذف كلامٌ عاقبت عليه الأحكام ، إلى غير ذلك من الأمور .

ولأجل هذا كله أولى الإسلام أداء الكلام عناية تتناسب مع قدره ، فكان محمد ﷺ المثل الأعلى فيه : عن عائشة رضي الله عنها قالت" كان كلام رسول الله كلامًا فصلًا يفهمه كل من يسمعه "(٢) .

بل جعل الإسلام أداء القرآن من تمام الإسلام ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال " من لم يتغنّ بالقرآن فليس منا "(٣) .

قال النووي : ومعنى (يتغنّى) : يحسن صوته بالقرآن(٤) .

إلى غير ذلك من الشواهد على حثّ الشرع على تحسين أداء الكلام والعناية به .

وفي مقابل هذا حذّر الشرع فغلّظ في التحذير من ارتكاب أمور في أداء الكلام بغيضة ، ولا أدلَّ على ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام " إنَّ الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخلَّل البقرة "(٥) .

قال الجاحظ تعقيبًا على هذا الحديث " قال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيُّن : إنما عاب النبي ﷺ المتشادقين والثرثارين والذي يتخلّل بلسانه تخلّل الباقرة بلسانها ، والأعرابي المتشادق وهو الذي يصنع بفكيه وبشدقيه مالا يستجيزه أهل الأدب من خطباء أهل المدر ، فمن تكلَّف ذلك منكم فهو أعيب ، والذمُّ له ألزم "(٦) .

فانظر كيف أنَّ بغض الله يحلُّ على من فعل ذلك في أدائه كلامه ، وهل بعد بغض الله عقوبة !!

زد على ذلك قوله ﷺ "... وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون "(٧) .

فما ظنك بذنب يحلُّ به على صاحبه بغض الله ورسوله !!

بل إن الحقوق ربما ضاعت من أصحابها بسبب فصاحة الخصم وحسن أدائه حين يرتقي أداؤه إلى ما يشبه السحر ، و(إنّ من البيان لسحرًا) (٨) ؛ ولهذا حذَّر

الرسول ﷺ أولئك من التأثير عليه بحسن الأداء في الخصومة والاحتجاج ؛ لأن عنصر البشرية الذي ينتمي إليه قابل للتأثُّر بهذا ، فقال :

" إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليَّ ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وأقضي له على نحو مِمَّا أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذ؛ فإنما أقطع له قطعة من النار"⁽⁹⁾ .

ثم لك أن تفسر (ألحن) بأنه أفطن لحجته وأجدل⁽¹⁰⁾ ، ولك أن تجعلها من التغريد والتطريب⁽¹¹⁾ البالغ حدَّ السحر وهي في الحالين تدلُّ على درجة من الحسن في أداء الكلام عالية .

وعند هذا الحدِّ أقف في الحديث عن خطر أداء الكلام من الناحية الشرعية ، فهو باب لو تقصيته لما انتهيت إلى حدٍّ .

ثم إذا نظرت في أحوال العرب في أداء لغتهم وجدت أنَّ " المرويَّ عنهم في شغفهم بلغتهم ، وتعظيمهم لها ، واعتقادهم أجمل الجميل فيها ، أكثر من أن يورد أو جزءٌ من أجزاء كثيرة منه "⁽¹²⁾ .

قال ابن جني " فكأنَّ العرب إنما تحلِّي ألفاظها وتدبِّجها وتشيها وتزخرفها ؛ عنايةً بالمعاني التي وراءها ، وتوصلًا بها إلى إدراك مطالبها ؛ وقد قال رسول الله ﷺ " إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرًا " فإذا كان رسول الله ﷺ يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم ، التي جعلت مصايد وأشراكًا للقلوب ، وسببًا إلى تحصيل المطلوب، عرف بذلك أنَّ الألفاظ خدم للمعاني "⁽¹³⁾ .

ولاشك أن لأداء الكلام في التحلية والتدبيج والتوشية والزخرفة النصيب الأوفر .

وهل تجد أدلَّ على اعتناء العرب بأداء كلامها من قول الجاحظ " قال ابن الأعرابي :

طلَّق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء ، وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال:

لثغاء تأتي بِحِيَفْسٍ ألثغِ تميس في الموشيِّ والمصبَّغِ "(١٤) .

وبحسن الأداء وحلاوته وعذوبته تقضى الحاجات وإن عظمت ، قال الجاحظ " وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز ، وكانت حاجته في قضائها مشقة ، فتكلَّم الرجل بكلام رقيق موجز وتأتَّى لها ، فقال عمر : والله إن هذا لَلسِّحرُ الحلال"(١٥) .

وبحسن الأداء وحلاوته تفاضل الخطباء وتفاوت الشعراء ، بل القبائل والأحياء قال عمر بن عبد العزيز " ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمدَّ له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه "(١٦) وهل ذلك إلا لحلاوة الكلام وطراوته وحسنه !!

بل ربما قبل العربي اللحن في مقابل استمتاعه بحسن الأداء وجماله ، قال الجاحظ " واللحن من الجواري الظراف ، ومن الكواعب النواهد ، ومن الشوابِّ الملاح ، ومن ذوات الخدور الغرائر ؛ أيسر ، وربما استملح الرجل ذلك منهنَّ"(١٧) .

ولذلك أيضًا أوصى الجاحظ بأن تؤدَّى نوادر العوام وملح الحُشوة والطغام كما أدَّوها ؛ حتى لا يفسد الإمتاع بها ، وتخرج من صورتها ، ومن الذي أريدت له ، و" يذهب استطابتهم إياها ، واستملاحهم لها "(١٨) .

ولما كان أداء الكلام بهذه المنزلة من الشرع ومن العربية كان جديرًا بالدرس والبحث .

ثم لارتباطه بالمعنى والإعراب المتفرِّع عنه ؛ رأيت أن أتتبع أثر أداء الكلام

العربي في معناه وإعرابه وعلاقته بهما ، وقد تأملت هذا طويلًا ، وقلَّبته في ذهني ، ونظرت فيه حتى برد في يدي(١٩) ، ووقفت بين يديه وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه (٢٠)، فتتبعت مواطن تأثير الأداء الكلامي فيهما ، وجمعت مظاهر هذا التأثير ، وتأمَّلت ما كتب في رصد هذا التأثير وبيانه ، فاستقر هذا البحث في مبحثين هما :

المبحث الأول : مظاهر تأثير أداء الكلام في المعنى والإعراب .

المبحث الثاني : علاقة الإعراب بالأداء عند أ.د. محمد بن إبراهيم البنَّا .

وهذا تفصيل كلٍّ منهما على حدة :

المبحث الأول : مظاهر تأثير أداء الكلام في المعنى والإعراب

وهي :

١ . الوقف والابتداء .

٢ . السكت .

٣ . الروم والإشمام .

٤ . اختلاس الحركة .

٥ . التنغيم .

٦ . الإلغاز .

وهذه وقفة مع كلِّ موضعٍ منها على حدة :

١. الوقف والابتداء

الوقف والابتداء هو أرقى النماذج على أثر طرائق أداء الكلام في المعنى والإعراب ؛ فهو " فنٌّ جليل ، وبه يعرف كيف أداء القرآن ، وبه تتبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات "(٢١) .

ولأهميته وتعلقه بكتاب الله تعالى ، كثر تأليف السلف والخلف رحمهم الله ، فيه(٢٢) . فقد نظر العلماء في كتاب الله فتأملوه آية آية ، ثمَّ نصوا على مواطن الوقف فيه ؛ حفاظًا على المعاني ورعاية للأعاريب ، فكان مما خلصوا إليه ما يأتي :

أولاً : قسموا الوقف باعتبار اللفظ والمعنى أربعة أقسام هي(٢٣) :

أ. الوقف التام :

وهو الذي لا يتعلَّق بشيء مما بعده لا لفظًا ولا معنى ، وذلك كالوقوف على قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١] والابتداء ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الفاتحة : ٢] .

ب. الوقف الكافي :

وهو الذي يتعلَّق ما بعده بما قبله من جهة المعنى فقط ، وذلك كالوقوف على قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة : ٥] والابتداء بقوله ﴿ **وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ** ﴾ [المائدة : ٥] .

ويحسن الوقوف على هذين القسمين ويحسن الابتداء بما بعدهما .

جـ . الوقف الحسن :

وهو الذي يتعلَّق ما بعده بما قبله لفظًا لا معنى ، كالوقوف على قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ [الممتحنة : ١] .

فهذا وقف حسن لفهم المراد معه ، ولكنَّه يقبح الابتداء بما بعده ، وهو قوله ﴿ وَإِيَّاكُمْۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة : ١] ؛ لأنَّه سيصير تحذيرًا عن الإيمان بالله ؛ فالوقف جائز والابتداء قبيح ، ولذلك إذا وقف القارئ فوقوفه حسن ، ويلزمه عند معاودة القراءة العودة والوصل .

د. الوقف القبيح :

وهو الذي يتَّصل ما بعده بما قبله لفظًا ومعنى ، ويقبح الوقوف عليه ، بل يأثم صاحبه إن لم يكن مضطرًا ، وقصد ذلك .

قال ابن الجزري " وقد يكون بعضه أقبح من بعض كالوقف على ما يحيل المعنى نحو ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ [النساء : ١١] فإن المعنى يفسد بهذا الوقف ؛ لأن المعنى أنَّ البنت مشتركة في النِّصف مع أبويه ، وإنما المعنى أن النِّصف للبنت دون الأبوين ، ثم استأنف الأبوين بما يجب لهما مع الولد "(٢٤) .

وواضح من هذه القسمة ارتباطها بالنظر في المعنى من حيث تمامه ونقصه، والنظر في اللفظ من حيث اتصاله بما بعده وعدمه، وهذا ما لا يدرك إلا بالإعراب ؛ قال أبو عمرو الداني " والذي يلزم القراء أن يتجنَّبوا الوقوف عليه : أن لا يفصلوا بين العامل وما عمل فيه ، كالفعل وما عمل فيه من فاعل ومفعول وحال وظرف ومصدر ، ولا يفصلوا بين الشرط وجزائه ، ولا بين الأمر وجوابه ، ولا بين الابتداء وخبره ، ولا بين الصلة والموصول، ولا بين الصفة والموصوف ، ولا بين البدل والمبدل منه ، ولا بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يقطع على المؤكَّد دون التوكيد ، ولا على المضاف دون المضاف إليه ، ولا على حروف

المعاني دون ما بعدها .

وهذا كلُّه وسائر ما ذكرناه قبل لا يتمكن معرفته للقراء إلا بنصيب وافر من علم العربية ، وذلك من آكد ما يلزمهم تعلمه والتفقه فيه ؛ إذ به الظاهر الجلي ، ويدرك الغامض الخفي ، وبه يعلم الخطأ من الصواب ويميّز السقيم من الصحيح "(٢٥) .

ويتضح ذلك بقول أبي بكر بن الأنباري في حديثه عن الوقوف في سورة الفاتحة " ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة : ٦ – ٧]

الوقف على (اهدنا) قبيح ؛ لأن (الصراط) منصوب به ، والمنصوب متعلق بالناصب ، والوقف على (الصراط) قبيح ؛ لأن (المستقيم) نعته ؛ والنعت متعلق بالمنعوت ، والوقف على (المستقيم) حسن وليس بتامٍّ ؛ لأن الصراط الثاني مترجم عن الصراط الأول ، والمترجم متعلق بالاسم الذي يترجم عنه(٢٦) ، والوقف على الصراط الثاني قبيح ؛ لأن (أنعمت عليهم) صلة (الذين) والصلة والموصول بمنزلة حرف واحد ، والوقف على (أنعمت) قبيح ؛ لأن (عليهم) صلة (أنعمت) . والوقف على (عليهم) حسن وليس بتامٍّ ؛ لأن قوله (غير المغضوب) خفض على النعت لـ(الذين) "(٢٧)

والطريف في أقسام الوقف السابقة هو أنَّ الوقف الواحد يتنقَّل بين أكثر من قسم منها حسب الإعراب ، وأكتفي في الدلالة على ذلك بالحديث عن الوقف في قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

فقد تأمَّل العلماء الوقف على (ما) فوجدوه مرتهنًا بإعراب (بعوضة) في جوازه من عدمه ، وفي تحديد نوعه إذا كان جائزًا ، ثم تأمَّلوا إعراب (بعوضة)

فوجدوها قد قرئت بالرفع والنصب والجرِّ ، فوجهوها أحد عشر وجهًا على النحو الآتي :

أ. النصب من سبعة أوجه ، هي :

١. مفعول لفعل محذوف تقديره (أعني بعوضة) .

٢. صفة لـ(ما) ، و(ما) اسم منكَّر بمعنى (شيء) .

٣. عطف بيان لـ(مثلًا) .

٤. بدل من (مثلًا) .

٥. مفعول بـ(يضرب) و(مثلًا) حال تقدمت عليها .

٦. مفعول ثانٍ لـ(يضرب) .

٧. منصوب على إسقاط (بين) والتقدير (ما بين بعوضة فما فوقها) فلما حذفت (بين) أعربت (بعوضة) كإعرابها .

ب. الرفع من ثلاثة أوجه ، هي :

١. خبر لمبتدأ محذوف ، أي (ما هو بعوضة) مع جعل (ما) موصولة ، والتقدير (... أن يضرب الذي هو بعوضة مثلًا) .

٢. خبر لـ(ما) على اعتدادها استفهامية أي (أيّ شيء بعوضةً ؟).

٣. خبر لمبتدأ محذوف مع جعل (ما) استفهامية ، والتقدير (أيّ شيءٍ هو بعوضةٌ ؟) .

جـ . الجر من وجه واحد :

هو جعل (بعوضة) بدلًا من (مثلًا) على توهم زيادة الباء ، والأصل (إن الله لا يستحيي بضرب مثلٍ بعوضةٍ) .

قال الأشموني (صاحب منار الهدى) بعد عرض هذه الوجوه" فمن رفع (بعوضة) على أنَّها مبتدأ محذوف الخبر ، أو خبر مبتدأ محذوف ، كان الوقف على (ما) تامًّا .

ومن نصبها (أي : بعوضة) بفعل محذوف ، كان كافيًا ؛ لعدم تعلق ما بعدها بما قبلها لفظًا لا معنى ...

وأما لو نصبت (بعوضة) على الإتباع لـ(ما) ونصبت (ما) على الإتباع لـ(مثلًا) فلا يحسن الوقف على (ما) ؛ لأن (بعوضة) متممة لـ(ما) ، كما لو كانت (بعوضة) صفة لـ(ما) ، أو نصبت بدلًا من (مثلًا) ، أو كونها على إسقاط الجار أو على أن (ما) موصولة ؛ لأن الجملة بعدها صلتها ، ولا يوقف على الموصول دون صلته . أو أن (ما) استفهامية و(بعوضة) خبرها ، أو جرّت (بعوضة) بدلًا من (مثلًا)، ففي هذه الأوجه السبعة لا يوقف على (ما) لشدَّة تعلّق ما بعدها بما قبلها "(٢٨)

قال الأشموني " وإنما ذكرت هذه الأوجه هنا لنفاستها ؛ لأنها مِمَّا ينبغي تحصيله وحفظه ... وهذا الوقف جدير بأن يخصَّ بالتأليف "(٢٩) .

وصدق ؛ فإنَّ تأمُّل كلام العلماء في الوقف والابتداء يمتدُّ به النظر القاصر، وينشط معه الذهن الفاتر .

وأكتفي بما سبق دليلًا على أن العلماء في محاولتهم ضبط أداء القرآن الكريم عن طريق تحديد مواضع الوقف الاختياري وتقسيمها ، قد اعتمدوا على المعاني والأعاريب اعتمادًا تأمًّا جعل ما نتطلبه من إيضاح العلاقة بين أداء الكلام وبين المعنى والإعراب في غاية الوضوح .

ثانيًا : جعل العلماء للوقف رموزًا تخدم المعاني المرادة في كتاب الله ، يستدلُّ بها القارئ ، ويستعين بها المتدبر . وقد انتهت هذه الرموز مع كثرة التهذيب والنظر إلى ستة رموز هي المعتمدة في مجمَّع الملك فهد رحمه الله ، لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ، هي(٣٠) :

(م) علامة الوقف اللازم .

(لا) علامة الوقف الممنوع .

(ج) علامة الوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين .

(صلى) علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى .

(قلى) علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى .

(ۛ ۛ) علامة تعانق الوقف(٣١) .

وما وضع هذه العلامات في المصحف إلا شعور بأهمية أداء القرآن الذي تقوم به المعاني التي أرادها الله تعالى في كتابه الكريم .

وهذه نماذج تكشف عن علاقة هذه الرموز الأدائية بالمعنى والإعراب :

١. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾ [يونس : ٦٥] الوقف على (قولهم) وقف تامٌّ لازم ، ولا يجوز الوصل ؛ لأنك لو قلت (قولهم إن العزة لله جميعًا) لأوهم أن ذلك من قولهم ، وأن هذا القول يحزنه ﷺ وهذا غاية إفساد المعنى ؛ ولذلك لزم الوقف على (قولهم) .

وبعبارة النحاة نقول إن جملة (إنّ العزة لله جميعًا) ابتدائية مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، ولا يجوز أن تكون مقول القول لما يترتب على ذلك من فساد المعنى

٢. قال تعالى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الأنفال : ٥٠] .

منع الوقف على (كفروا) لأن (الملائكة) فاعل لـ(يتوفى) وبها يتم الكلام ، وجملة (يضربون) في موضع نصب حال من الملائكة .

قال الأشموني "الأولى ألا يوقف على (كفروا) ولا (الملائكة) بل على قوله (وأدبارهم)"(٣٢) .

٣. قال تعالى ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ ۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ [الكهف : ١٣] كان الوقف على قوله (بالحق) جائزًا جوازًا مستوي الطرفين ؛ لأن الجملة الأولى لَّما تمَّت بها ، واستأنف بعدها كلامًا جديدًا جاز الوقف ؛ ولَّما كان المعنى متصلًا في جملته ؛ لما في الثانية من ذكر نبئهم بالحق جاز الوصل ؛ فاستوى الأداءان .

٤. قال تعالى ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٤] .

الوقف على قوله (أذلة) جائز والوصل أولى كما ترى ، والسرُّ في ذلك أن قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ يمكن أن يكون من كلام بلقيس ، فينبغي الوصل ، ويمكن أن يكون من كلام الله تعالى ؛ تأييدًا لبلقيس ، فينبغي الوقف ؛ قال أبو حيان " هو من قولها ، أي : عادة الملوك تلك من الإفساد والتذليل ، وكانت ناشئة في بيت الملك فرأت ذلك وسمعت . ذكرت ذلك تأكيدًا لما ذكرت من حال الملوك ، وقيل : هو من كلام الله إعلامًا لرسوله ﷺ وأمته ، وتصديقًا لإخبارها "(٣٣) . ولكن لَّما كان الأظهر كونه من قولها كان الوصل أولى .

وعلى هذا فإنَّ قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ إما معطوفة داخلة في مقول القول ، أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

٥. قال تعالى ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴾ [الكهف : ٢٢] .

الوقف على (قليل) جائز ، ووصلها بما بعدها جائز ، ولكن لما كانت (قليل) نهاية القول المأمور به ، وما بعدها استئناف أمر جديد كان الوقف على (قليل) أولى ، ويستأنس لذلك بأن (قليل) قد جعلت رأس آية في بعض المصاحف(٣٤) .

٦. قال تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٦] .

في هذه الآية تعانق للوقف فإما أن يكون الوقف على (عليهم) وهي جار ومجرور متعلق بـ(محرّمة) ويكون المعنى حينئذٍ (محرم عليهم دخولها) يفهم ذلك من قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ ﴾ [المائدة : ٢٤] وعلى هذا تكون (أربعين سنة) ظرفًا منصوبًا بـ(يتيهون) أي (يتيهون في الأرض أربعين سنة)(٣٥) .

وإما أن يكون الوقف على (سنة) ويكون الظرف (أربعين سنة) حينئذٍ منصوبًا بـ(محرمة) ، والمعنى أنها محرمة عليهم هذه المدة .

فتأمَّل تأثُّر المعنى والإعراب في هذه الآية بموضع الوقف ، على أنّه لا يجوز لمن وقف على أحدهما أن يقف على الآخر ؛ لما في ذلك من انقطاع المعنى وإبهامه .

ثالثًا : بلغ تأثير أداء الكلام في المعاني والإعراب حدًّا يكشف معه الأداء عن المذهب العقدي أو الفقهي لصاحبه ، وإليك هذين المثالين :

١. قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] .

الوقف على (يختار) مذهب أهل السنة لنفي اختيار الخلق ، فليس لأحد أن يختار ، بل الخيرة لله تعالى ، وعلى هذا تكون (ما) نافية .

إلا أن بعضهم وقف على (يشاء)، ثم ابتدأ (ويختارما كان لهم الخيرة) ؛ قال أبو قاسم الأنصاري " يعلم من هذا متعلق المعتزلة في إيجاب الصلاح والأصلح عليه"(٣٦) .

وعلى هذا المعتقد تكون (ما) موصولة في محل نصب مفعول لـ(يختار) أي (يختارالذي كان لهم الخيرة) ، أي : كان لهم خيرته فنابت اللام عن الهاء وهذه الهاء تعود على (ما) (٣٧) .

فتأمل كيف أنبأ الأداء عن المعتقد في هذه الآية البالغة في الدلالة على أثر الأداء في المعاني ، على أن السمين الحلبي نص على وقوع بعض المخالفة في ذلك من أهل السنة ومن المعتزلة :

فذكر أن الطبري ، وهو من كبار أهل السنة ، منع أن تكون (ما) نافية ؛ لئلا يكون المعنى : أنه لم تكن لهم الخيرة فيما مضى ، وهي لهم في المستقبل (٣٨). ولا يعني هذا أن الطبري كان موافقًا للمعتزلة في معتقدهم ؛ فإنه حين جعل (ما) موصولة غير نافية ، أوَّل المعنى تأويلا يتفق مع مذهب أهل السنة ، فقال في تفسير معنى الآية " وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه ما هو في سابق علمه أنه خيرتهم"(٣٩).

وذكر السمين أيضًا أن الزمخشري المعتزلي قرَّر كون (ما) نافية ، قال السمين " وهو موافق لكلام أهل السنة ظاهرًا ، وإن كان لا يريده"(٤٠) ، والحق أن الزمخشري ذكر الوجهين في (ما) : كونها نافية وكونها موصولة ، إلا أنه قدَّم الأول وظاهر كلامه

أنه هو الراجح عنده ، وقال إن المعنى معه " ويختار ما يشاء .... والمعنى : أن الخيرة لله تعالى في أفعاله ، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه "(٤١) .

٢. قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور : ٤ – ٥] .

اختلف الفقهاء في موضع الوقف في هذه الآية : فمن قال منهم إنَّ شهادة القاذف لا تقبل وإن تاب(٤٢) ؛ فإنه يقف على (أبدًا) ثم يبتدئ بـ(أولئك هم الفاسقون) ، وعلى هذا يكون الاستثناء في قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ استثناء من الوصف بالفسوق لا يتعداه إلى ما قبله .

ومن قال منهم إنَّ شهادته إذا تاب مقبولة (٤٣)؛ فإنَّ الكلام عنده متَّصل لا وقف فيه إلا على رأس الآية ، وعلى هذا فإنَّ الاستثناء في الآية التالية استثناء من الوصف بالفسوق ومن ردِّ الشهادة معًا (٤٤) .

ومما يدلُّك ، إضافة إلى ذلك ، على خطر أمر الوقف والابتداء الضابطين لأداء القرآن أنَّ بعض العلماء وضع (رسالة في تحريم الوقف في خمسة وسبعين موضعًا من القرآن وتحريم الوصل في موضع منه) قال في أولها " فمن علم قراءة القرآن والصرف والإعراب ووقف عامدًا في هذه المواضع فإنه يكفر بالله العظيم سواء كان في الصلاة أو خارجها "

وإذا تجاوزنا مناقشة الخلاف الوارد في بعض الوقوف التي ذكرها صاحب هذه الرسالة فإنه يستدل بعمومها على عظم الأمر وخطر المسألة(٤٥) .

ومن خلال هذه المباحث الثلاثة تتضح علاقة الأداء القرآني بالمعنى

والإعراب، وكيف أنَّ كلَّ أداء يستلزم معنى وإعرابًا ، وفي ضوء هذا وجب على المتكلم أن يختار مواطن وقوفه وابتدائه في كلامه ؛ رعاية للمعنى وحفاظًا عليه ؛ لأنَّه ربما أفسد كلامه بوقفة واحدة ، من ذلك ما نقله الزركشي من أن النبي ﷺ قال لخطيب "بئس الخطيب أنت" حين قال : (من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما) ووقف ، قال : فقد كان ينبغي أن يصل كلامه فيقول (ومن يعصهما فقد غوى) ، أو يقف على (ورسوله فقد رشد)(٤٦) .

ولذلك كان لزامًا على المتكلم بغير القرآن أن يراعي الوصل والوقف في كلامه ، فيختار مواطنهما بكلِّ دقة ؛ فالوصل له أحكامه ومقتضياته ، والوقف له أحكامه ومقتضياته ، واللبيب من راعى تلك الأحكام والمقتضيات(٤٧) .

بل إنَّ بعض الباحثين جعل عدم تحديد مواطن الوصل والوقف في الشواهد النحوية أحد الأسباب التي أدت إلى تعدد تحليل النحاة لتلك الشواهد(٤٨) .

ولأهمية الوصل والوقف حمل النحاة ما تداخل من أحكامهما على أنَّه من إجراء الوصل مجرى الوقف ، وجعلوا ذلك مما يحتمله الشعر من الضرورات ، أو مما يكثر في الشعر ويقلُّ في النثر على أقلِّ تقدير(٤٩) .

وهذا دليل على شدَّة تمسكهم بإعطاء الوصل والوقف ما يستحقانه من رعاية وعناية عند أداء الكلام .

٢. السكت

السكت هو قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمنًا يسيرًا من غير تنفس ، مقداره حركتان ، وهو مقيد بالسماع والنقل كما قال ابن الجزري(٥٠) .

وعلى هذا فإن السكت طريقة من طرائق الأداء القرآني تختلف عن الوقف ؛

لأن الوقف للتنفس والاستراحة ثم معاودة القراءة ، أما السكت فإنه لا تنفس فيه وهو للواصل(٥١) ؛ إلا أنه يلتقي مع الوقف في الكشف عن أهمية الأداء القرآني في إبراز المعاني وإيضاح الإعراب ، وهذه وقفة مع سكتات حفص الأربع الواجبة(٥٢) :

١. قال الله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا ﴾ [الكهف : ١-٢] .

بينت السكتة اللطيفة على (عوجًا) أن (قيمًا) منفصل عن (عوجًا) ، وفي هذا إشعار باختلاف الإعراب .

ذكر ابن هشام في تمثيله على زلل أقدام بعض المعربين لمراعاتهم ظاهر الصناعة دون باطن المعنى : "ما حكاه بعضهم من أنه سمع شيخًا يعرب لتلميذه (قيمًا) من قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا ﴾ صفة لـ(عوجًا) قال : فقلت له : يا هذا كيف يكون العوج قيمًا ؟ وترحَّمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عوجًا) وقفة لطيفة دفعًا لهذا الوهم ، وإنما (قيمًا) حال إما من اسم محذوف هو وعامله : أي : أنزله قيمًا . وإما من الكتاب ، وجملة النفي معطوفة على الأول ومعترضة على الثاني ...."(٥٣) .

٢. قال تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ٥٢] .

الوقف للواقف كما ترى على (مرقدنا) أولى من الوصل ؛ لأن الأظهر أن كلام الكافرين ينتهي عندها ، ثم يستأنف الكلام بـ(هذا) فهي مبتدأ خبره (ما) سواء جعلتها مصدرية أم موصولة . والسكت لمن وصل ، والوصل جائز ؛ من أجل لمح هذا المعنى ؛ لأن الوقف على هذا أو الوصل دون سكت يوهم أن (ما) في قوله ﴿ مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ نافية ، وهذا مالا يجوز .

على أن هناك من أجاز الوقف على (هذا) بجعلها صفة لـ(مرقدنا) أو بدلًا منه ويجعل (ما) مصدرية أو موصولة خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره (بعثكم ما وعد الرحمن) (٥٤) .

ولكن الوقف على (مرقدنا) أو السكت عندها عند الوصل أولى ؛ لأن القرآن يتخيّر له ولا يتخيَّر عليه .

٣. قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۜۡ رَاقٖ ﴾ [القيامة: ٢٦، ٢٧] .

وقال تعالى ﴿ كَلَّاۖ بَلۜۡ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

قال أبو حيان : "وكأن حفصًا قصد أن لا يتوهم أنها كلمة واحدة فسكت سكتًا لطيفًا ليشعر أنهما كلمتان" (٥٥) ، وهل ذلك إلا دليل على ما في هذا الأداء الذي انفرد به حفص من رعاية المعاني ، وخدمتها والاحتفاء بها ، وتوضيح الإعراب وكشف أستاره ؛ بل ربما فعل ذلك النحوي في قراءته القرآن في غير هذه المواضع ، قال الأنباري عند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ [طه : ١٥] .

"ويحكى عن أبي الحسن الأخفش أنه كان يقف وقفة لطيفة على قوله (أكاد) ثم يبتدئ ويقرأ : (أخفيها لتجزى كل نفس) ، فكأنه إنما وقف تلك الوقفة ليبين لك أن اللام من قوله : (لتجزى) تتعلق بـ(أخفيها) لا بـ(آتية) " (٥٦) .

٣. الرَّوم والإشمام

الروم ، كما هو ذائع معلوم ، هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صوتًا خفيًا ، هذا الصوت يسمعه القريب المصغي دون

البعيد . وقد عرفه بعضهم بقوله : هو الإتيان بثلث الحركة بحيث يسمعه القريب دون البعيد .

والإشمام هو ضم الشفتين بعيد إسكان الحرف دون تراخ على أن يترك بينهما فرجة لخروج النَّفَس ، بحيث يراه المبصر دون الأعمى ، وهو في الوقف لا يكون إلا في المضموم والمرفوع فقط(٥٧) .

فالروم والإشمام إذن طريقتان من طرائق الوقف في الكلام ؛ فالعرب لا تقف على متحرك كما تعلم ، ولذلك كان في الروم والإشمام بيان الحركة الأصلية التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ؛ لتظهر للسامع في حالة الروم ، وللناظر في حالة الإشمام . ولذلك فإنه لا روم ولا إشمام مع الخلوة(٥٨) .

فتأمل كيف حرص القراء في أدائهم على بيان الحركة الإعرابية دون إخلال بما اطرد عند العرب من عدم وقوفهم على المتحرك رغبة في تمام الإيضاح والبيان .

٤. اختلاس الحركة

قال سيبويه : "هذا باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي :

فأما الذين يشبعون فيمططون ، وعلامتها واو وياء ، وهذا تحكمه لك المشافهة .... وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسًا .... يسرعون اللفظ .... ولا يكون في النصب ؛ لأن الفتح أخف عليهم .... ، وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر ... "(٥٩) .

نفهم من هذا النص أن للعرب في نطق حركتي الجر والرفع ثلاث طرائق :

(إشباعها ، اختلاسها ، إسكانها) إضافة إلى الأصل في نطقها معتدلة لا زيادة فيها ولا نقص .

فأما الإشباع والاختلاس فالحركة باقية فيهما مع زيادة عليها في الإشباع ونقص منها في الاختلاس ، أما مع الإسكان فإن الحركة تحذف .

وأهم هذه الأقسام الثلاثة (الاختلاس) فهو طريقة في الأداء سادت دون شك لغة الخطاب اليومي عند العرب في عصور فصاحتهم ، قال أبو سعيد الآبي (ت : ٤٢١ هـ):

" قال أبو العيناء : ما رأيت مثل الأصمعي قط ، أنشد بيتًا من الشعر فاختلس الإعراب ، ثم قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : كلام العرب الدرج .

وحدثني عبد الله بن سوار أن أباه قال : العرب تجتاز بالإعراب اجتيازًا . وحدثني عيسى بن عمر أن ابن أبي إسحاق قال : العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه . وسمعت يونس يقول : العرب تشامّ الإعراب ولا تحققه . وسمعت الخشخاش بن الحباب يقول : العرب تقع بالإعراب وكأنها لم ترد . وسمعت أبا الخطاب يقول : إعراب العرب الخطف والحذف ، فتعجب كل من حضر منه "(٦٠) .

قال أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم البنّا : " وهذه الروايات المتعددة من الدرج والاجتياز والرفرفة والمشامّة والخطف والحذف تعني اختلاس الحركة والإسراع في أدائها وعدم تحقيقها أو إشباعها أو إبرازها ، وهي بحسب ظاهرها تجمع على أنَّ هذا أداء العرب جميعهم "(٦١) .

وهذا ما لا أشك فيه ، لتناسبه مع لغة الحياة ومقاماتها حتى إذا نظموا أشعارهم وتخاطبوا وتفاخروا في أسواقهم وحروبهم ومنتدياهم عمدوا إلى تلك الحركات المختلسة فأتموها ، وإلى كلماتهم فزوّروها واتأدوا في أدائها .

واختلاس الحركة مرضي عند النحاة بخلاف الإشباع والإسكان ؛ لأن الحركة

معه باقية وإن ذهب شيء منها ، أما الإشباع فإنه تمطيط للحركة حتى يتولد عنها حرف تكون هي قبله ، والإسكان زوال للحركة بالكلية .

والدليل على رضى النحاة عن اختلاس الحركة واعتدادهم إياه صورة من صور الأداء الحسنة ، وإن لم تكن هي الأقيس والأقوى ، تخريجهم قراءة أبي عمرو بن العلاء ﴿ إِنَّ اللهَ يأمُركُم ﴾[البقرة : ٦٧] بسكون الراء ، و ﴿ فتوبوا إلى بارئكم﴾ [البقرة : ٥٤] بسكون الهمزة ، على أنها من هذا الباب ؛ فقد ذكر ابن جني أن القراء قد رووها عن أبي عمرو بالإسكان ، ورواها سيبويه بالاختلاس ، ورجَّح رواية سيبويه فقال : " الذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنًا ، ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف أمانة لكن أتوا من ضعف دراية "(٦٢) .

وقال في موضع آخر : " ورواها سيبويه بالاختلاس ، وإن لم يكن كان أزكى فقد كان أذكى، ولا كان بحمد لله مزنًا بريبة، ولا مغموزًا في رواية "(٦٣).

وبهذا يتقرّر أن الاختلاس صورة من صور الأداء الفصيح للغة العربية ، كيف لا يكون والنحاة قد أجازوه ووجهوا به قراءة سبعية ثابتة .

قال أبو البركات الأنباري : " ومن قرأ بالاختلاس أراد منزلة بين الحركة والسكون يجمع بين التخفيف والتنبيه على الأصل "(٦٤) . وقال أبو عمرو الداني موضحًا طريقة أداء الحركة المختلَسَة : " وأما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يُسرع اللفظ به إسراعًا يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع ، وهي كاملة في الوزن ، تامّة في الحقيقة ، إلا أنها لم تُمَطَّط ولا تُرُسِّلَ بها، فخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها "(٦٥) .

وإذا كان الاختلاس لا يؤثر في المعنى فإن تأثيره في الإعراب واضح ؛ إذ هو

نقص من علامة الإعراب واجتزاء منها كما رأيت .

وإيجازًا للكلام أود التنبيه إلى ثلاثة أمور هي :

١. أنَّ إسكان حرف الإعراب بحذف حركته كما في قول جرير :

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ونهر تيرى فلا تعرفْكم العرب

أي : (فلا تعرفُكم العرب) .

ونحوه من الشواهد ، سواء كانت الحركة ضمة أم كسرة أم فتحة ضرورة من ضرائر الشعر لا تجوز إلا فيه عند معظم العلماء(٦٦) .

على أنه ورد عن تميم حذف الضمة تخفيفًا وهي علامة إعراب ، وقد وجَّه ابن جني كثيرًا من القراءات الشاذة على هذه اللغة(٦٧) .

قال د.محمد إبراهيم البَّنا بعد استعراضه كثيرًا من تلك القراءات :

" ويلاحظ أن التسكين قد ورد في الأفعال المضارعة المتصلة بالضمائر غالبًا ، ويبدو أن بني تميم كانوا ينفرون بالتسكين من توالي المتحركات ، وأن هذا الأداء يعبِّر عن نظام مقطعي في لهجتهم "(٦٨) .

وعليه فإني أرى أنَّ التسكين صورة من صور الأداء اللهجي الخاص بتميم في بعض المواضع ، ووروده في الشعر ضرورة اقتضتها طبيعة الشعر وموسيقاه ، وأن هذه الصورة من الأداء غير صالحة لأن ترتقي إلى درجة التعميم قانونًا على اللغة كلها ؛ لما فيها من زوال علامة الإعراب ، وإيهام الجزم في المرفوع من الأفعال ، واختلال المعاني بناء على ذلك .

٢. أنَّ الإشباع ضرورة شعرية خالصة في كل حال ، وتزيد قبحًا وبعدًا إذا

أدت إلى إجراء المعتل مجرى الصحيح بإثبات حروف العلة في حال الجزم في الفعل معتل الآخر(٦٩) .

ويزيد من رسوخ هذا الرأي عندي أنك إذا تأملت الشواهد التي ورد فيها الإشباع لا تكاد تجد له تأثيرًا في المعاني ، فأما قول أحد الباحثين عن قول الشاعر :

وأنني حيثما يثني الهوى بصري   من حيث ما سلكوا أدنو فأنظورُ

" على أنَّ استطالة الصوت في قوله : (أدنو فأنظورُ) لا تخلو من الإيحاء بمعنى وهو أن يشرئب بعنقه ويطيل النظر ويحده وهو مالا يوحيه قوله : (أدنو فأنظر) فقط بدون إشباع "(٧٠) .

فهذا تأمُّل حَسَنٌ للشعر لا مانع منه إلا أنه في محصوله تعلُّل للضرورة التي ارتكبها الشاعر ومحاولة لاستبطانها والإفادة منها ، أما أن ينبني على ذلك ونحوه إخراج الإشباع من باب الضرورات فهذا مالا أوافق الباحث البتة عليه(٧١) .

فأما ما وقع عند ابن جني في المحتسب من توجيه بعض القراءات على أنها من الإشباع(٧٢) ، وما وقع عند ابن مالك في كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح) من توجيه لبعض مشكلات الجامع الصحيح أيضًا(٧٣) ؛ فإنه لا يعني خروج (الإشباع) عندهما من باب الضرورة ، وليس فيه أي إشارة إلى التناقض أو الاضطراب عندهما، بل نقول: إن هذين الكتابين أُلِّفا لغرض معين ، فابن جني ألف كتابه (المحتسب) لـ(تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) ، وابن مالك ألف كتابه (شواهد التوضيح) لـ(لتوضيح مشكلات الجامع الصحيح وتصحيحها) ، وهذا يعني أنهما ليسا من كتب التقعيد النحوي ، والمقام فيهما ليس مقام وضع قوانين اللغة المختارة المنتخبة إفرادًا وتركيبًا ؛ بناء على الأعم الأغلب عند قبائل العرب ، وإنما هما من كتب التوجيه والتأويل والتخريج ، التي يلتمس فيها مؤلفُّوها للشاهد الخارج عن

اللغة المختارة المنتخبة ، مسلكًا من التصحيح ، ويحاولون به وجهًا من العربية على لغة من اللغات المرضية .

يدل على ذلك أن ابن جني نفسه قد نص صراحة على أن (الإشباع) من الضرورة الشعرية في الخصائص(٧٤) ، وسر صناعة الإعراب(٧٥) ، وذكَّر بذلك وأقسم عليه في موضعين من المحتسب نفسه ، فقال عن (الإشباع) "ولعمري إن هذا مما تختص به ضرورة الشعر ، وقلما يجيء في النثر"(٧٦) ، وقال أيضًا "وهذا لعمري مما تختص به ضرورة الشعر ، لا تخيُّر القرآن"(٧٧) .

٣. توسَّع بعض الباحثين(٧٨) في اختلاس الحركة فسماه (الاجتزاء) وعمَّمه على اختلاس الحركة ، وعلى اختلاس حروف المد واللين وقصرها في نحو قول الشاعر :

فلو أن الأطبا كانُ حولي وكان مع الأطبـــــاء الأساةُ

وقول الآخر :

كفَّاك كفٌّ لا تليق درهما جودًا وأخرى تعطِ بالسيف الدما

وغيرها .

وذهب إلى أنه "لا يصح ما ذهب إليه سيبويه وأكثر النحاة حيث عدوا الاجتزاء ضرورة ، ويجب أن تخرج شواهده من نطاق ومصنفات الضرورة"(٧٩) .

والحق أنَّ الباحث إنما فعل ذلك لأنه يرى أنَّ حروف المد حركات طويلة فلا فرق عنده بين اجتزاء الواو وبين اختلاس الضمة .

أما نحاتنا فيرون أنَّ حروف المد حروف توامُّ كوامل ، ولذلك فسروا ما ورد في الشواهد السابقة ونظائرها على أنه من حذف الحرف وإنابة الحركة عنه ، وخصوا ذلك

بالشعر وحده فجعلوه من الضرائر(٨٠) .

فأما ما وقع عند بعض العلماء من الاتكاء على (الاجتزاء) في بعض مؤلفاتهم عند التخريج والتوجيه وفقه اللغة ، فإنه لا يخرج (الاجتزاء) من الضرورة، ولا يوحي بأي تناقض عندهم أو اضطراب ، ومن ذلك ما يأتي :

أ. أن ابن جني عقد بابًا في الخصائص هو (باب إنابة الحركة عن الحرف والحرف عن الحركة) ، وساق فيه عددًا من الشواهد القرآنية والشعرية التي حذف في كل منها حرف من حروف المد استغناء عنه بالحركة التي هي من جنسه(٨١) ، ولم ينص على أن ذلك من الضرورة ، وهذا دليل منهجيته وفقهه ، فهو يرصد ظاهرة لغوية عامة استنبطها من لغات العرب عامة ، وليس مقامه مقام التقعيد للغة المختارة المنتقاة، ولذلك نص بعض العلماء كالزمخشري على أن هذا الاجتزاء (لغة هذيل)(٨٢)، وهذه اللغة الهذلية تهم فقيه اللغة سواء وجد لها نظير في لغات بقية العرب أم لم يوجد ، ولكنها لا ترقى إلى منزلة الاعتداد بها في التقعيد النحوي حتى تكون هي اللغة الغالبة عند معظم القبائل المستشهد بكلامها عند النحاة .

ب. أن ابن جني حمل عددًا كبيرًا من القراءات الشاذة على (الاجتزاء) ونظَّر لها بكثير من الشواهد الشعرية (٨٣) ، وذلك لأنه في مقام (تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) بحملها على وجه من العربية باتساع لغاتها ، والتماس النظير لها لتأويلها ، وليس في مقام التقعيد للغة المنتخبة المختارة ؛ ولذلك نص في سر صناعة الإعراب على أن حذف الألف والاستغناء عنها بالفتحة شاذ ، لا يسوغ القياس عليه ، قليل النظير(٨٤) .

ج. أن كثيرًا من الآيات القرآنية الكريمة قد حذفت منها حروف المد ؛ استغناء بالحركات المجانسة لها عنها ، وهذا أمر لم يغفل عنه النحاة حين عدوا ذلك من

الضرورة ؛ قال سيبويه "وجميع ما لايحذف في الكلام ، وما يختار فيه أن لا يحذف ، يحذف في الفواصل والقوافي" ثم ساق بعض الشواهد من القرآن والشعر(٨٥) . ومن هذا أيضًا قول ابن جني "قرأت القراء ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ [الفجر:٤] ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ ۚ ﴾ [الكهف:٦٤] ، فحذف الياء في هذا ونحوه في الوقف إنما هو لرؤوس الآي ، وتشبيههم إياها بالقوافي"(٨٦) .

ثم إنه من الواجب أن يُتَنَبَّه إلى أن القرآن الكريم وقراءاته أوسع من النظام النحوي الذي وضعه النحاة ؛ وذلك لأن الذكر الحكيم راعى كثيرًا من الظواهر في لغات العرب المختلفة التي هي أيضًا أوسع من النظام النحوي الموضوع اختيارًا وانتخابًا من الأعم الغالب في لغات العرب المستشهد بكلامهم .

٥. التنغيم

"التنغيم هو تنوع الأصوات الذي يحدثه اهتزاز الوترين الصوتيين ، تنوع يتراوح بين الارتفاع والانخفاض في أثناء النطق ، وينظم علاقة الوحدات اللغوية المتتابعة في السياق ليشكل الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة"(٨٧) .

وعلى هذا فالتنغيم عنصر من عناصر موسيقى الكلام وإيقاع الجمل ، وهو مبحث اعتنت به الدراسات الحديثة ، أعني الإيقاع ، فأتت فيه بعدد من المصطلحات مثل : النبر والتلوين والتزمين إضافة إلى التنغيم(٨٨) ، وعندي أن (التنغيم) يشمل كلَّ هذه العناصر ، فالنبر والتلوين والتزمين ما هي إلا عناصر لتنغيم الكلام ؛ تنغيمه عن طريق التركيز على كلمة ما أو بعض حروفها ومقاطعها وهذا هو النبر ، وتنغيمه عن طريق إعطاء كلِّ حرف ما يستحقه من المدة الزمنية وهذا هو التزمين ، وتنغيمه عن طريق تردد الصوت بين ارتفاع وانخفاض وهذا هو التلوين .

فالتنغيم هو أشمل هذه المصطلحات بل ربما شمل التنغيم الوقف والسكت

فكاد أن يكون مقاربًا عندي لمصطلح (أداء الكلام) نفسه .

يقول شيخنا د. سليمان العايد : " أجمل مقطوعة موسيقية في الكون يصنعها الإنسان ، وأعلاها قيمة : هي الصوت الإنساني ؛ لما هو مهيأ له من إمكان حمل المعنى والفكر من خلال القيمة الجمالية . والأذن قد تملّ الموسيقى الميتة ، وتصبح بحاجة مستمرة إلى التجديد ، بخلاف الصوت الإنساني الذي فيه من التجدد والحيوية ما ليس في غيره من أعمال البشر وآلاتهم "(٨٩) .

إلا أن إحداث تغيير في نغم هذه المقطوعة الموسيقية الأجمل يحدث تغييرًا في المعنى الذي تحمله ، ولذلك نوّعت العرب نغم أصواتها حسب المعنى الذي تريد العبارة عنه .

وقد لاحظ علماؤنا هذا الفن العربي الجميل فرصدوا شيئًا من مظاهره ، وساقوا بعض أمثلته ورواياته وشواهده ، ومن ذلك قول ابن جني :

" العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمدته ، ولا معتزمة عليه أسرعت فيه ، ولم تتأن على اللفظ المعبّر به عنه "(٩٠) ، ثم ساق على ذلك بعض الأمثلة التي توضح مراده ، منها :

أ. قال أبو الفتح : " ويكفي في ذلك قول الله سبحانه ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ [البقرة : ٢٢٥] قالوا في تفسيره : هو كقولك (لا والله) و (بلى والله).

فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبت فيه والإشباع له والمماطلة عليه من قول الهذلي :

فوالله لا أنسى قتيلًا رزئته … بجانب قوسى ما مشيت على الأرض

أفلا ترى إلى تطعمك هذه اللفظة في النطق هنا بها وتمطيك لإشباع معنى

القسم عليها "[٩١] .

وهذا الذي ذكره ابن جني ملموس مشاهد تفعله الناس كلَّ يوم ، وتأمل نفسك وأنت تفعل ذلك بلهجتك الدراجة في خطابك اليومي .

ب. قال أبو الفتح : " وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبّر عنها وضعفها : ما يحكى أن رجلًا ضرب ابنًا له ، فقالت له أمه : (لا تضربه ، ليس هو ابنك) ، فرافعها إلى القاضي ، فقال : (هذا ابني عندي ، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني) .

فقالت المرأة : ليس الأمر على ما ذكره وإنما أخذ يضرب ابنه ، فقلت له : "لا تضربه ليس هو ابنَك " ومدّت فتحة النون جدًّا .

فقال الرجل : (والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل) "[٩٢] .

وما هذا الطويل الطويل إلا تغيير في نغم الجملة أخرجها من الإخبار إلى استفهام فيه من الإنكار والتقريع والتوبيخ ما فيه ، وكأنها قالت له : (أتضربه وهو فلذة كبدك التي تمشي على الأرض ؟!) .

وقد جمع أستاذنا د. سليمان العايد نصوصًا[٩٣] لغير ابن جني تدلُّ على أنَّ العلماء قد رصدوا بعض ما تفعله العرب من تغيير في نغم كلامها بتغيّر المعنى الذي تريده ، ثم قال : " فأنت حين تقول : اخرج ، وأنت تأمر أمرًا عاديًّا ، لك أداء يختلف عنه حين تقولها وأنت تنهر شخصًا وتطرده "[٩٤] .

ولك أنت أن تتأمل الفارق الكبير بين النغمة في قولك (سبحان الله) وأنت تذكره سبحانه بعد الصلاة ، وبينها هي في قولك (سبحان الله) متعجبًا من جمال غروب الشمس ، وبين هاتين وبين (سبحان الله) التي قالها رجل في مجلس محمد بن

يوسف ، قال طاوس : "ما ظننت أن قول (سبحان الله) يكون معصية لله حتى كان اليوم ، سمعت رجلًا أبلغ عن رجل كلامًا ، فقال رجل من أهل المجلس (سبحان الله) كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف "(٩٥) .

وفي هذا السياق يقول د. تمام حسان : "وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة ، نحو : لا ! ، نعم ! ، ياسلام ! الله ! .... إلخ ، لأن تقال بنغمات متعددة ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كلِّ نغمة بين الاستفهام ، والتوكيد ، والإثبات لمعان مثل : الحزن ، والفرح ، والشك، والتأنيب ، والاعتراض ، والتحقير .... وهلمّ جرًّا . حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني ؛ لأن هذه الجملة لم تتعرض لتغير في بنيتها، ولم يضف إليها ويستخرج منها شيء ، ولم يتغير فيها إلا التنغيم وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية"(٩٦) .

وعلى ما في هذا من بيان لأهمية التنغيم في تكوين معاني الكلام الذي هو مادة النحو وميدانه ، فإنني أزيد تلك الأهمية رسوخًا عندك بإيراد مزيد من الدلائل على ارتباط التنغيم بالمعنى والإعراب وسأكتفي بذكر دليلين اثنين هما :

١. أن التنغيم يغني أحيانًا عن ذكر الصفة :

ذكر ابن جني ما حكاه سيبويه من قول العرب (سِيْر عليه ليلٌ) وهم يريدون (ليل طويل) ، ثم قال "وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : (طويل) أو نحو ذلك "(٩٧) .

وأنت إذا تأملت (التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم) وجّدتها صفات لتنغيم هذه الجملة لاسيما كلمة (ليل) منها ، فالتفخيم والتعظيم واحد يدلان على

تعظيم الصوت وتكبيره ، والتطويح أن يمدّ الصوت حتى يذهب ويجيء في الهواء ، والتطريح التطويل أيضًا(٩٨) .

وإذا كان هذا في مثال من أمثلة الكتاب فإنه ليس بالأمر النادر الفرد المستغرب ، بل هو مألوف معروف ، قال ابن جني : " وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملته ، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه ، فتقول : (كان والله رجلًا !) ، فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة ، و[تمكّن] في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أي (رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أوكريمًا أو نحو ذلك) .

وكذلك تقول (سألناه فوجدناه إنسانًا) وتمكّن الصوت بـ (إنسان) وتفخّمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك "(٩٩) .

٢. أن التنغيم يفرّق بين المعاني النحوية المتواردة :

ومن ذلك :

أ. الإغراء والتحذير :

يقول أستاذنا د.عليان الحازمي : " إن التنغيم هو الذي يفرّق بين الإغراء والتحذير في قولك (الرجلَ الرجلَ) فإذا كانت النغمة مرتفعة فإنها تحذرك من الرجل وأما إذا نطقت بنغمة مستوية فإنها تدلُّ على الإغراء "(١٠٠) .

ولا جدال في ذلك فإن المحذّر له نغمة مرتفعة سريعة تسابق وقوع الخطر ملهوفة مشفقة ، كأن تصيح بأخيك (الأسدَ الأسدَ) محذرًا . في حين ترى المغري بالشيء له نغمة عذبة هادئة لينة فيها من التحبيب والتأليف الشيء الكثير ، كقولك لابنك (الصلاةَ الصلاةَ) .

ثم تأمَّل ما ينبني على معرفة أحد الأسلوبين من آثار في التقدير والإعراب ناهيك عن المعنى .

ب. الخبر والدعاء :

يقول أحد الباحثين عن قوله سبحانه ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ ﴾ [المائدة ٢٣]

" تحتمل جملة (أنعم الله عليهما) الاعتراض بين القول ومقوله (ادخلوا....) والصفة لـ(رجلان) ، والحالية من (رجلان) لأنه وُصِف ، وذلك بتقدير (قد) في صدر الجملة .

وإذا كانت وصفية أو حالية فالأسلوب يبقى إخبارًا ، أما إذا كانت معترضة فالأسلوب يتحول من الإخبار إلى الدعاء الذي تفيده الجملة المذكورة .

ويبدو أن الأداء الذي يقتضيه الوجه الأول والثاني يتجلى بتدرجات تنغيمية مستوية ومتواصلة ، بخلاف الوجه الثالث الذي يقتضي تدرجًا تنغيميًّا مستويًا حتى المقطع (فون) من (يخافون) ثم مرتفعًا واقعًا على (أنعم) بعد فاصلة تنغيمية بسيطة "(١٠١)

وعلى أنَّ هذا الوصف للنغمة ظاهر العجز عن تصويرها في ذهنك ، وكذلك كلُّ وصف في هذا الشأن كما سيأتي ، فإني أوافق الباحث في أنَّ للدعاء نغمة غير نغمة الخبر ، ولك أن تتطّعم أنت الفرق الموسيقى الواضح بين (رضي الله عن المؤمنين) حين تريد بها الدعاء لإخوانك المؤمنين ، وبين نغم هذه الجملة حين تكون إخبارًا في نحو قول الله تعالى ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] .

وأنت عالم أنَّ الدعاء إنشاء ، والإنشائية والخبرية لها حضورها الفاعل في كثير

من أبواب النحو ومسائله .

جـ . الخبر والاستفهام :

يبرز دور التنغيم بشكل واضح في التفريق بين الخبر والاستفهام عند غياب أداة الاستفهام بالطبع ، وذلك نحو قولك (حضر زيد) فبالتنغيم وحده تجعلها خبرًا أو استفهامًا حسبما تريد .

ومن جميل ماورد من هذا ماقاله النسفي في تفسيره عندقوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ** ﴾ [الأنعام : ٧٦]

قال " فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال لهم (هذا ربي في زعمكم) أو المراد : أهذا ؛ استهزاء بهم وإنكارًا عليهم ، والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت "(١٠٢) .

ومن الشواهد الذائعة على ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهرًا عدد الرمل والحصى والترابِ

أورده ابن هشام ثم قال :

" اختلفوا .... فقيل : أراد : أتحبها ؟ وقيل: إنه خبر، أي أنت تحبها "(١٠٣).

وأورد أيضًا قول المتنبي ، غفر الله له :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

ثم قال : " أحيا : فعل مضارع ، والأصل : أأحيا ؟ فحذف همزة الاستفهام ، والواو للحال والمعنى التعجب من حياته ، يقول : كيف أحيا وأقلّ شيء قاسيته قد

قتل غيري "(١٠٤) .

فالاستفهام والخبر نابعان من التنغيم وفي هذا دليل على أثر التنغيم في تشكل المعنى النحوي .

وإذا كانت الصنعة اللفظية في هذين البيتين تحتمل الاستفهام والإخبار ، وأنَّ التنغيم هو الذي يفرّق بينهما ، فإنني أختار أن يكون بيت المتنبي :

أحيا وأيسر ما لاقيت ما قتلا

على الإخبار لا على الاستفهام ، وأحبُّ أن تكون النغمة على ذلك ، لأنه حين يخبرك (أنه يحيا) بهذا الفعل المضارع المتجدّد المسند إلى الضمير (أنا) على الرغم من أن أيسر ما يلاقيه يقتل غيره ، فإن في ذلك من الاعتداد بالنفس والتحدي والغلاب ما يتناسب مع طبيعة أبي الطيب التيّاهة في عالم من جنون العظمة ليس له حدود ، فهو يخبرك بأنه هو من يصنع حياته في هذا البحر المتلاطم بالمهلكات .

وهذا معنى لا أذوقه حين أحمل البيت على أنه يتعجب من استمرار حياته ، وكأنه مغلوب على أمره لا يستطيع حماية حياته بل يتعجب من استمرارها ، وفي هذا من العجز والقصور ما فيه ؛ لأنه مستغربٌ استمرار حياته ، وكأنما ذلك ضربة حظ نادرة .

فإن قلت : إنه هو نفسه اعترف بالضعف في الشطر الثاني من البيت فقال : (والبين جار على ضعفي وما عدلا) .

قلتُ : وهذا أحلى وأحلى ، فهو يتحدث هنا عن فراق الأحبة ، فالفراق جار على ضعفه حين فرق بينه وبين أحبته ، وهو ضعيف أصلًا في مقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلاه ببعدهم .

فما أجمل أن يكون شامخًا باذخًا في شطره الأول منكسرًا متذللًا ضعيفًا أمام الهوى في شطره الثاني بل هل لهذا الجمال مثال !!

فقد صوّر كبرياءه التي لا تقهر في الشطر الأول ، فلما ذكر الهوى والفراق والولع والأشواق نص على ضعفه أمامها وكأن لا ضعف له في سواها ، وهذا هو عين قوله في قصيدة أخرى :

إني لأجبن من فراق أحبتي   وتحسُّ نفسي بالحمام فأشجعُ (١٠٥)

وعلى كل حال ففيما ذكرناه ما يكفي لبيان ما نحن بصدده من أثر التنغيم في تكوين المعاني وتلوينها : ولأجل ذلك استحدثت علامات الترقيم في العربية منقولة من اللغات الأخرى ، فكان منها ما يوضح المعنى ويعين على تحقيق القيم الإيقاعية مثل علامتي الاستفهام والتأثر ، ومنها ما هو راحة للقارئ وبيان لمواضع الوقف كالفواصل(١٠٦) .

وإن دقة استخدام المؤلف أو المحقق علامات الترقيم ،وأنىّ لك بذلك ! لأكبر دليل على استيعابه وذوقه وفهمه .

٦. الإلغاز

ذكر السيوطي أن الألغاز أنواع فمنها " ألغاز قصدتها العرب ، وألغاز قصدتها أئمة اللغة ، وأبيات لم تقصد العرب الإلغاز بها ، وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازًا(١٠٧) .

وقد جمع العلماء تلك الألغاز والأحاجي ، وألفوا فيها(١٠٨) ، وتأملوها ؛ فكوّنت لهم مادة ثرّة كانت تروج بها مناظراتهم ومجالسهم ومسامراتهم ، يفحمون بها الخصوم ، ويفتقون بها العقول ، ويتريضون بها ، ويوظفونها في مراجعة أبواب النحو

والصرف ورعاية أحكامها .

وقد درس الباحثون تلك الألغاز فكان مما عنوا به الحديث عن مكونات الإلغاز وأسبابه ، فذكروا منها : المعنى اللغوي ، والتصحيف ، والتورية ، وغرابة اللفظ ، والحذف والاختصار ، وتسهيل الهمز ، ورسم الخط (١٠٩) .

ولاشك أن رسم الخط لا يكون له أثر في الإلغاز إلا حين يكون اللغز مكتوبًا، أما إذا كان منطوقًا فإن موطن الإلغاز يكمن في طريقة أداء اللغز وإلقائه على المستمع ، وأن ذلك الأداء يتعمد التعمية عليه ، ويسلب من الأداء كثيرًا من عناصر البيان في اللغز غير ألفاظه ، وكتابة اللغز ما هي إلا صورة لذلك الأداء المعمّى . فالأداء هو الأصل في الإلغاز وهو الأنسب لمقامات التناظر والتسامر والتدريب .

وبالأداء نفسه يمكن كشف كثير من الألغاز بالحفاظ على التنغيم والإيقاع مرّة، وبالوقف أو السكت عند بعض الألفاظ مرة أخرى .

وحتى لا يكون الكلام نظريًا فقد تخيرت خمسة نماذج فقط من الألغاز النحوية أكشف من خلالها عن هذا الذي ذكرته ، وفي الخمسة إن شاء الله مقنع :

(١)

قال الزجاجي : " حدثنا أبو إسحاق الطلحي قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل الكاتب عن أبيه قال : سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد وقال : انظروا، في هذا الشعر عيب ؟ وأنشده :

ما رأينا خربًا نقّـــــر عنه البيضَ صقرُ

لا يكون العير مهرًا   لا يكون المهر مهرُ

فقال الكسائي : قد أقوى الشاعر ، فقال اليزيدي : انظر جيدًا ، فقال :

أقوى، لابد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان .

قال : فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض ، وقال : أنا أبو محمد ، الشعر صواب إنما ابتدأ فقال : المهر مهر ، فقال يحيى بن خالد : أتتكنى بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك ! والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع فعلك ، فقال : لذة الغلب أنستني من هذا ما أحسن "(١١٠) .

وأنت إذا تأملت هذا المجلس لم تجد سببًا مقنعًا في خطأ عالم كالكسائي في مثل هذه المسألة التي راعى فيها الصناعة اللفظية غافلًا عن المعنى ؛ إذ إن جعله المهر الثانية خبرًا لكان يقتضى نفي أن يكون المهر مهرًا ، وإن لم يكن فماذا يكون !!

ولعظم ما فعله الكسائي مع جلالة قدره ووضوح المسألة انتشى اليزيدي كلَّ هذه النشوة .

لا أشك طرفة عين في أن اليزيدي قد أدّى البيت أداء يخدم هدفه من الإلغاز على الكسائي ، فألقى بالشطر الأول (لا يكون العير مهرا) ووقف عليه ، ثم ابتدأ (لا يكون المهر مهرُ) في نغمة مساوية لنغمة الشطر الأول متصلة لا انقطاع فيها .

ولك أن تتأمل لو أن اليزيدي في أدائه هذا البيت قال :

(لا يكون العير مهرًا لا يكون) ووقف على (يكون) الثانية وقفة يسيرة ، ثم ابتدا بنبرة عالية مؤكّدة (المهرُ مهرُ) هل كان الكسائي سيقع فيما وقع فيه !!

إن الأداء والأداء وحده يقف خلف الإلغاز في هذا البيت كما ترى .

ولذلك فإنني لا أجد تفسيرًا لقول د.عليان الحازمي بعد ذكره هذه القصة مباشرة : "هذه الحادثة تدل على أنَّ المنشد قد سكت سكتة عند (لا يكون) الثانية ونطقها بنغمة عالية ومنتهيًا بنغمة منحدرة ، ثم ابتدأ بقوله : (المهر مهر) "(١١١) . إن

كان يقصد بالمنشد أبا محمد اليزيدي ؛ فالحادثة تدلُّ على أنه لم يسكت ولو سكت لما خفي ذلك على الكسائي .

(٢)

ومثل هذا قول الفرزدق :

هيهات قد سفهت أمية رأيها   واستجهلت سفهاؤها حلماؤها
حرب تردّد بينهم بتشاجر   قد كفَّرت آباؤها أبناؤها

فأنت إذا تأملت البيتين وجدت أنه يسبق إلى ذهن السامع أن (سفهاؤها) فاعل لـ (استجهلت) فيشكل عليه حينئذٍ رفع (حلماؤها) التي كان حقها النصب على هذا الفهم . ويقال القول نفسه في (كفَّرت أباؤها أبناؤها) .

ولاشك عندي في أن الذي يريد الإلغاز يؤدي البيتين أداء يخدم قصده من المسارعة بإيقاع الإشكال في ذهن السامع والتعمية عليه ، وذلك بأن يلقي الشطر الثاني مستقلًا عن الأول ، متصلًا ، بادئًا بنبرة عالية عند بدايته (واستجهلت سفهاؤها حلماؤها) (قد كفّرت آباؤها أبناؤها) .

في حين أنه لو أدّاها بنية كشف الإلغاز ورفع الإشكال لوصل (واستجهلت) بالشطر الأول فقال (هيهات قد سفهت أمية رأيها واستجهلت) ثم يقف قليلًا ويبتدئ بقوله (سفهاؤها حلماؤها) مؤكّدًا على المبتدأ بنبرة عالية تلين عند

الخبر : وعندها يتضح الإعراب فتكون (سفهاؤها حلماؤها) جملة اسمية مستأنفة وفاعل (استجهلت) ضمير يعود على (أمية) .

ومثله في البيت الثاني ، إذ لو وقف على (قد كفّرت) ، أي لبست السلاح فاستترت ، ثم ابتدأ بقوله (آباؤها أبناؤها) لانكشف الإعراب واتضح المعنى .

(٣)

قال الشاعر :

ويح من لام عاشقًا في هواه إن لوم المحب كالإغراءُ

فالإلغاز في رفع (الإغراء) مع اتصالها بكاف التشبيه الجارّة ،ولاشك أن مريد الإلغاز يؤدي البيت كما كتبته واصلًا الكاف بـ (الإغراء) ، وربما سكت على (المحب) سكتة لطيفة لمزيد من الإبهام والإلغاز ، في حين أنه لو جعل سكتته اللطيفة تلك على الكاف فقال : (إنّ لومَ المحبّك ، الإغراءُ) لاتضح المراد ، وعلم أن الكاف معمول اسم الفاعل (محب) ، وأن (الإغراء) خبر (إنّ) .

(٤)

قال الشاعر :

وإنّا رعاتٍ للضيوف أكارمًا سمت فرآها الأبعدون على قربِ

لاشك أن البيت حين يؤدى بهذا الشكل الذي أثبته مشكل المعنى والإعراب، ففيه جر (رعاتٍ) مع أن الظاهر كونها خبرًا لـ (إنّ) في أول البيت ، وفيه

نصب (أكارمًا) مع أن الظاهر كونها تابعة لـ (رعات) ، وفيه إشكال في الضمير في (سمت) و (فرآها) علام يعود !!

ولكن هذا الإشكال يزول حين تسمع البيت بهذا الشكل :

وإِنْ ، نارُ عاتٍ للضيوف أكارمًا   سمت فرآها الأبعدون على قرب

مع سكتة لطيفة على نون (إنْ) الشرطية حتى لا تدغم في نون (نار) كتلك التي في (مَنْ راق) و (بل ران) .

(٥)

وقال آخر :

يا رازقَ الذرّةِ الحمراءُ وابنتُها   على سماطك ملحًا غيرَ مطحونِ

على هذا الأداء يشكل عليك رفع (الحمراء) مع أنها على الظاهر صفة لـ (الذرّة) المجرورة ، ويشكل عليك رفع (ابنتها) المعطوفة عليها .

ولكن الإشكال يزول حين يؤدى لك البيت بهذا الشكل :

يا رازي ، قد ، ذرّتِ الحمراءُ وابنتُها   على بساطك ملحًا غير مطحون

وما أجمل أن يسكت المنشد غير الملغز سكتتين لطيفتين الأولى على (رازي) وهو منادى كما ترى ، والثانية على (قد) لئلا تدغم الدال في الذال(١١٢) .

من هذا ، وغيره مما استطلته فتركته ، وضح دور أداء الكلام في الإلغاز ورفعه ، وأنَّ أداء الملغِز دون شك يختلف اختلافًا واسعًا عن أداء المبين ، وأنَّ الكتابة في ذلك تابعة لطريقة الأداء .

المبحث الثاني : علاقة الإعراب بالأداء عند أ.د. محمد بن إبراهيم البنَّا

وضع أستاذنا البنّا رسالته (الإعراب سمة العربية الفصحى : دراسة تتناول وظيفته وتقويمًا لمنابع بيانه وعلاقته بالأداء) ، وطرح فيها أفكارًا متنوعة يهمني منها ما يتعلق بالأداء ، ويمكن قسمتها تحت عنوانين كبيرين هما :

١. أنماط أداء الفصحى .

٢. دور الأداء في الكشف عن الدلالة النحوية .

وهذه وقفة مع كلٍّ على حدة :

أولًا : أنماط أداء الفصحى :

تناول الدكتور البنَّا مما يمكن إدراجه تحت هذا العنوان الأفكار الآتية :

١. أنَّ اختيار مصطلح (الإعراب) ، وهو يعني في دلالته المعجمية : الإبانة والوضوح ، ثم العناية بظاهرة الإعراب عند النحاة وقيامها من النحو مقام القطب من الرحى – قد يكون من حقنا أن نستنتج منه أنه كان في الجزيرة العربية نمطان متقابلان من الأداء : أداء إعرابي وأداء أقل منه وضوحًا(١١٣) .

وأن المتقدّمين من علماء اللغة يبدو أنهم وجدوا هذين النمطين حين تصدوا لوصف هذه اللغة(١١٤) .

٢. أنَّ (الأداء الإعرابي) هو الأداء "الملتزم للعلامات التي وصفها النحاة ، والتي يكون عليها آخر البناء ، سواء أكانت هذه العلامات متغيرة أم ثابتة ، وسواء أكانت حركةً أم سكونًا ، وسواء أكانت الحركة قصيرة أم طويلة "(١١٥) ؛ لأنَّ تلك العلامات "تمثل حدودًا للأبنية داخل الجمل إذا أقيمت على وجوهها فإنَّ البناء يصبح واضحًا بيّنًا ويتبع ذلك وضوحُ التركيب وإبانته عن الغرض"(١١٦) .

وعلى هذا فإن علامات الإعراب" هي في الحقيقة بيانات أدائية تحقّق الوضوح لأبنية التركيب ، ويتبعها الوضوح في الأداء والبيان ، ومن هنا كان اختيار هذا المصطلح لهذه العلامات "(١١٧) .

والعرب في مختلف بيئاتهم يلتقون حول هذا الأداء المعرب(١١٨) .

٣. الأداء المقابل للأداء الإعرابي ليس بتلك المنزلة من الوضوح والبيان ، فهو أداء " تختلط فيه الأبنية وتمتزج " ، و" قد تتعرّض البنية لكثير من التغييرات التي لا تقف عند حد آخرها ، بل تتعداه إلى داخلها ، وذلك على نحو ما صنعت لغة الخطاب في بيئاتنا العربية ، ولاحظ الآن كيف نتكلم فيذهب من البناء في كثير من التراكيب صوت أو صوتان ، ولاحظ كيف تتداخل الأبنية في التراكيب ، فلا يستبين بعضها من بعض ، ألا ترانا نقول في أحد أداءاتنا المصرية (محمجَّه) ، والذي يتوخّى العربية المعربة يقول (محمد جاء) ، فانظر كيف يبين الأداء الإعرابي في هذا النمط البناء ويحميه من الحذف والتغيير "(١١٩) .

ولا يلتقي العرب في مختلف بيئاتهم حول هذا الأداء ، فهو " في حقيقته أنماط وليس نمطًا واحدًا، أنماط تتعدد بتعدّد البيئات اللغوية في الجزيرة العربية.

وإذا وصفنا هذه الأنماط بعدم البيان والوضوح فذلك راجع إلى محليتها وانحصار كل منها في بيئة محدودة ، ونحن لا نلغي [عنها] صفة البيان والوضوح جملة ، وإنما نعني أن أداء بيئة ما بيّن فيها لا محالة ، لكن البيئات الأخرى لا تتمثله تمثلها ، وذلك راجع إلى أن كل بيئة قد التزمت أعرافًا خاصة في الأداء "(١٢٠) .

٤. أنَّ وظيفة الإعراب هي الإبانة والوضوح ، و" ما عدَّه النحاة حركة بناء لا يفترق في الحقيقة عن حركة الإعراب " من حيث تلك الوظيفة ، و" كذلك نطق الصوت الأخير مجرَّدًا من الحركة وهو ما عدوه سكونًا أو جزمًا أو وقفًا يتحقّق به

الغرض أيضًا ، فكل العلامات التي وصفوها لمختلف الكلم هي بيان لها ، وإن كان منها ما هو متغير وما هو ملازم لوضع واحد لا يفارقه "(١٢١) ، " فليس الإعراب مقصورًا على ما اصطلح عليه النحاة فيما بعد من الأثر الذي يجلبه العامل ؛ ذلك أنّ الذي يخالف في أدائه نطق الكلمات المبنيّة يقال له أيضًا : إنه قد لحن وخالف الإعراب " (١٢٢) .

٥. أنَّ " اختيار مصطلح (البناء) للكلمات الثابتة في التركيب الملازمة أداء واحدًا لا يلغي عنها صفة الإبانة وإنما يسلب عنها صفة التغيّر لا غير ، وكأنَّ الذي هيّأ هذه الكلمات المتغيّرة لمصطلح الإعراب هو ما وجده النحاة من دلالة العلامات في بعض وحدات التركيب على معانٍ نحوية ، وهو ما عبروا عنه ، فيما بعد سيبويه ، من أن الرفع علم الإسناد ، والنصب علمُ المفعولية ، والجرّ علم الإضافة ، فلما وجد النحاة فيه بيان أداء وبيان دلالة خصوه بمصطلح (الإعراب) ، ولما لم يتجاوز الثاني بيان الأداء خصوه بمصطلح البناء "(١٢٣) .

٦. أنَّ (الأداء المعرب) انحسر " بعد ظهور الإسلام حتى إنه لم تبق بيئة عربية يتمثل فيها هذا الأداء في لغة الخطاب ، وأصبح مقصورًا على اللغة الأدبية لا يتجاوزها ، في الشعر والخطابة ودروس العلماء ومحاوراتهم "(١٢٤) .

٧. أنَّ انحسار (الأداء المعرب) أمام تيار العامية وفشل النهضة اللغوية المبكّرة في تدعيم هذا الأداء في لغة الخطاب " يدعو إلى الاعتقاد بأن هذا الأداء المعرب لا يتناسب مع طبيعة أسلوب الخطاب ... حيث تقوم فواصل صوتية بين كلِّ بناءين ، وقد تتغيّر هذه الفواصل على حسب وضع البناء في التركيب ، ولغة الخطاب لغة تتسم بالسرعة وتعينها وسائل متعددة في تحقيق عملية الإفهام . ثم إنَّ في الإعراب صعوبة لا يقدر عليها إلا المطبوعون حتى إنه لم يسلم البلغاء من اللحن "(١٢٥) .

كانت هذه هي أهم الأفكار التي طرحها أستاذنا البنَّا فيما يتعلق بوجود أدائين في جزيرة العرب في عصور فصاحتها ، وهي تمثل الجزء الأول من أفكاره في الأداء، وقد سردتها متتابعة لتلازمها ، وهذه وقفة معها أكتفي فيها بالتعقيب بالإشارة العابرة والكلمة الطائرة ؛ طلبًا للإيجاز والاختصار ، فأقول وبالله التوفيق .

أ. أمَّا ما ذكره أستاذنا البنا من وجود نمطين متقابلين في الأداء عند العرب في عصور فصاحتهم ؛ فهذا من المسلَّمات التي تقتضيها طبيعة الحياة ، فأداء الكلام محكوم بمقاماته دون شك .

ولكنَّ الذي يجب أن نقف أمامه هو الفارق بين الأدائين : الأداء المعرب والأداء الآخر الذي "تختلط فيه الأبنية وتمتزج" ، والذي "تتعرض فيه البنية لتغييرات في آخرها وداخلها" .

إنَّ هذا الكلام لا يقبل على إطلاقه لأنَّ الفارق بين الأدائين عند القبائل الفصيحة الصريحة التي استشهد بكلامها لا يمكن أن يكون مماثلًا للفارق بين الأدائين عند غيرها من القبائل .

فإن كان أستاذنا البنَّا يصوِّر لنا هذا الفارق بين الأداءين وهو يقصد بذلك القبائل التي لم يستشهد بكلامها كلخم وجذام وقضاعة وغسان ... وغيرها ، فلن نناقشه في دقة كلامه من عدمها ، لأنَّ لغة هؤلاء القوم لا تهمنا كما أنها لم تهم النحاة من قبل الذين رسموا المستوى اللغوي الذي يجب أن يحتذى ، ولم يذكروا من غيره إلا ما يسهم في بنائه كأن يبينوا شذوذ غيره وقلته وندرته ، وكأن يرفعوا بعض الظواهر اللهجية فيجعلوها قوانين عامة في الفصحى .

وأما إن كان د.البنَّا يريد بكلامه تصوير الفارق بين الأداءين عند الفصحاء المستشهد بكلامهم كقريش وأسد وقيس ... وغيرهم ، وأن هؤلاء في لغة خطابهم

اليومية كانت تختلط على ألسنتهم الأبنية وتمتزج بمعنى أن علامة الإعراب تزول بالكلية فهذا ما لا نقبله بحال من الأحوال .

لقد كان الأداء الأعلى عند هؤلاء هو (الأداء المعرب) الذي وصفه ، أما الحد الأدنى لأدائهم فهو الأداء الذي (ترفرف) فيه على الإعراب ولا تتفيهق فيه ، وتختلسه ، وتجتاز به ، دون أن تحذفه .

وإني لأرى ، وأرجو أن أكون مصيبًا ، أن المراتب التي ذكرها أهل القراءات لقراءة القرآن من ترتيل يقرأ فيه بتؤدة وطمأنينة مع تدبر للمعاني ومراعاةٍ لأحكام التجويد ، ومن حدر يقرأ فيه بسرعة مع المحافظة على أحكام التجويد ، ومن تدوير يقرأ فيه القرآن بحالة متوسطة بين الاطمئنان والسرعة مع مراعاة الأحكام(١٢٦) – أرى أن هذه المراتب في قراءة القرآن وكلها صحيح وإن تفاضلت تكشف لنا عن طبيعة الأداء على ألسنة الفصحاء للعربية في ذلك العصر ، وأن اختلاف أدائهم لا يخرج لغتهم عن حدود الفصاحة ، وأن تنوّعه جاء لتنوّع مقامات الكلام كما أن مراتب القراءة تعدّدت لتعدّد مقامات التلاوة . فأداء العرب لكلامهم حين يلتقي الجمعان ويتقابل الصفان وتتبارى القرائح بالخطب والشعر ، ليس كأداء أحدهم وهو يلاعب ولدًا أو يداعب جارية أو يبايع بقالًا ، وبين هذين الأداءين أداء يتناسب مع مجالس القوم ومنتدياتهم .

ب. وأما قول د.البنّا إنَّ المبنيات فيها بيان للأداء وليس فيها بيان للمعاني ولذلك خصوها بمصطلح البناء وجعلوا (الإعراب) لما فيه بيان أداء وبيان دلالة . فإنا لا نسلم له بذلك فالمبنيات فيها بيان دلالة ؛ لأن المبنيات تحمل المعنى النحوي بذاتها وهو جزء من تكوينها ، فاسم الشرط يدل على الشرطية بذاته ، ولذلك لم يحتج إلى علامة إعرابية للدلالة على هذا المعنى النحوي . ولو وضع العرب لها علامة إعرابية لكان ذلك غباء منهم ، حاشاهم ، لعدم حاجتها إليه ، قال أبو البركات الأنباري "وأما

الأفعال والحروف فإنها تدلُّ على ما وضعت له بصيغها ؛ فعدم الإعراب لا يخلُّ بمعانيها ولا يورث لبسًا فيها ؛ والإعراب زيادة ، والحكيم لا يزيد شيئًا لغير فائدة"(١٢٧)، والأسماء المبنية مثل الأفعال والحروف في ذلك ، قال أبو البركات عن (إياك) في أسلوب التحذير " بنية لفظه تدلُّ على كونه مفعولًا ؛ فلم يستعملوا معه لفظ الفعل، بخلاف غيره من الأسماء ؛ فإنه يجوز أن يقع مرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا ، إذ ليس في بنية لفظه ما يدلُّ على كونه مفعولًا ، فاستعملوا معه لفظ الفعل " (١٢٨) .

جـ. وأما حديث أستاذنا البنَّا عن فشل النهضة اللغوية المبكّرة في تدعيم (الأداء المعرب) في لغة الخطاب ، واستنتاجه من ذلك أن لغة الخطاب لا يناسبها هذا النمط من الأداء ، وأن هذا النمط صعب لا يقدر عليه إلا المطبوعون .

فإن ذلك عندي غير مقبول ؛ لأن النهضة اللغوية التي يتحدَّث عنها أستاذنا ليس من أهدافها تدعيم (الأداء المعرب) في لغة الخطاب ، وينبغي ألا يكون ؛ لأنه من غير المقبول " تكلُّف الفصحى في مجالات العامية كما أنه من غير المقبول إقحام العامية في مجالات لغة الأدب والعلوم والخاصة من العلماء والمسئولين ، وذوي الفكر والنباهة والمكانة الاجتماعية "(١٢٩) .

أما الهدف الذي يجب أن تقصد إليه النهضة اللغوية في جميع مؤسساتها التعليمية والتربوية فهو أن نصل بالمتعلم إلى القدرة على (الأداء المعرب) إذا احتاج إليه ، بالتكلّف والتعلُّم والتحفُّظ ، فلا نطالبه بهذا الأداء في البيت والشارع ، والسوق والملعب ... إلخ ، بل نطالبه به عند قراءة كلمة أو إلقاء محاضرة أو خطبة ... إلخ .

ومما يحسن إيراده هنا ما حكاه الزبيدي في ترجمة الفراء من أنه دخل على هارون الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرّات ، فقال جعفر بن يحيى : إنه لحن يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد للفراء : أتلحن ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن طباع أهل البدو الإعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا تحفظت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت . فاستحسن الرشيد قوله(١٣٠) .

فإذا وصلنا بالمتعلم إلى أنه إذا تحفّظ لم يلحن فقد بلغنا الغاية المطلوبة ، وأين نحن منها !!

ثانيًا : دور الأداء في الكشف عن الدلالة النحوية :

الأفكار التي تناولها د.البنّا مما يمكن إدراجه تحت هذا العنوان تتلخّص في النقاط الآتية :

١. أنَّ (الأداء المنغَّم) هو وحده الذي يكشف عن الدلالة النحوية المرادة ، يقول : " إن علامة النصب أو الرفع لا تستقل بالدلالة كما تستقل علامة الجر بل نعدها موجّهًا أوليًّا لما يمكن أن يحتمله موقع الكلمة في التركيب من دلالة نحوية . وإذا كان الاسم المرفوع يحتمل وجوهًا من الإعراب وكذلك المنصوب ، فالخلاف منبعه تلك الوجوه المقتضية للنصب أو الرفع ، وهي التي تسمَّى (العلاقات) ؛ فإذا كانت العلاقة السببية فهو مفعول لأجله ، أو الحالية فهو حال ، أو بيان الحدث أو عدده فهو مفعول مطلق ، أو تأكيده فهو مصدر مؤكد . ومثل ذلك مع المرفوع فقد يكون مسندًا إليه أو مسندًا أو تابعًا لهما ؛ وقد تنقطع علاقته من التركيب فيكون مستأنفًا .

ما الذي يكشف هذه العلاقات إذا كانت العلامة الإعرابية موزعة بين علاقات شتَّى ؟! لا شيء غير الأداء المنغَّم المعبِّر عن كلِّ علاقة "(١٣١) .

٢. أن التركيب قادر بقرائنه على أن يحقّق المعنى النحوي المراد من الكلمة في التركيب من خلال : صيغة الكلمة ، ودلالة البنية ، والموقع ، والأداء . إلا أن (الأداء) هو " الحاسم في قصرها على واحد من المعاني النحوية التي يمكن أن تؤديها"

تلك الكلمة في ذلك التركيب(١٣٢) . وأن " معتمد المعنى النحوي ... ليس هو العلامة بل الأداء "(١٣٣) .

٣. ضرب د.البنَّا مثالًا واحدًا على دور الأداء الحاسم في بيان المعنى النحوي المراد وتنوُّع الأداء باختلاف الإعراب ، وذلك بقوله عن قول الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ [البقرة : ٢] .

" فمن أعرب (ذلك) خبرًا فهو يتصور أداء غير أداء من يعربها مبتدأ : أداء الأول أداء من ينطق بالخبر في نغمة هادئة مطمئنة ، أمّا من يعربها مبتدأ فإنه يؤديها في نغمة عالية ، ويؤدي كلمة (الكتاب) في أداء هادئ إذا أعربها خبرًا .

فأما إذا كانت تابعًا لـ(ذلك) فلا يزال يمضي أداؤه صاعدًا مصحوبًا بنبرة عالية على كلمة (الكتاب) ثم يهبط هذا الأداء عند الخبر وهو (لا ريب فيه) .

وهكذا الأمر مع المنصوبات يتلوّن الأداء فيها بما يشعر بالحالية أو السببية أو التوكيد أو غير ذلك "(١٣٤) .

٤. أنَّ أعاريب النحاة تعددت للنصّ المكتوب ؛ لأنه لم ينبّه على أدائه فاحتمل تلك الأعاريب بحسب ما يحتمله من الأداءات(١٣٥) ، و" أن جانبًا كبيرًا من المعاني النحوية التي يمكن أن يعطيها الأداء قد فات الأوائل الاهتمام بوصفه وتقنينه صوتيًّا . وقد يعتذر عن الأوائل بأن وصف الأداء قد كان عسيرًا ؛ لافتقاره إلى تلك الأجهزة التي يسرتها لنا الحضارة . لكن الذي كنا نطلبه أن يمضوا على درب ابن جني وكانت له في تحليل الأداء أشياء تقوم على التثبت والإسراع والتطعُّم وتمكين الأصوات وإخفائها وتلك كانت بداية معقولة لعمل كبير في مجال الأداء .... بيد أن النحاة اطرحوا ذلك وشغلوا أكثر بالعلامة الإعرابية ، تلك التي أكاد أحصر وظيفتها في بعض المواطن في قيمتها الجمالية للتركيب ، ثم إن كانت لها من جدوى في الدلالة

النحوية فلا تعدو أن تكون مجرد إشارة لمدخل مدينة كبيرة هي الجملة ، لا ينقذك من أن تضلّ في دروبها إلا دليل هو (الأداء) "(١٣٦) .

٥. أنَّ سرَّ عناية نحاتنا الأوائل بالإعراب هو إدراكهم أن هيكل الفصحى يقوم بقيامه ، وأنه يأخذ سمتًا من البيان والعذوبة والجمال تفتقده الأداءات الأخرى التي تخلّت عن هذا النهج الإعرابي(١٣٧) .

كانت تلك أهم أفكار أستاذنا البنَّا فيما يتعلق بدور الأداء في الدلالة النحوية ولي على تلك الأفكار بعض الملحوظات ، أجملها فيما يأتي :

أ. أما قول أستاذنا إنَّ (الأداء المنغَّم) هو وحده الذي يكشف عن الدلالة النحوية، ثم قوله ، مخففًا من هذا التعميم ، إنَّ القرائن هي التي تحقّق المعنى النحوي، والأداء هو القرنية الحاسمة في تدقيق المعنى ، فهذا كلام نظري مجرَّد من الدليل بلغ من التعميم درجة يصعب استيعابها بل يصعب الردُّ عليها ، ولاسيما إذا قرنت إليها أنه جرَّد العلامة الإعرابية ، ناهيك عن سائر القرائن ، من المشاركة في كشف الدلالة أو كاد .

فالفتحة علامة النصب مثلًا مشتركة بين أبواب كثيرة ، فهي علامة نصب المفعولات الخمسة والحال والتمييز وخبر كان واسم إنَّ ، والمستثنى في بعض حالاته، والمنصوب على نزع الخافض ، وتابع المنصوب بأنواعه . والذي يحدد المراد منها جميعًا عنده هو الأداء ولا شيء غيره !!

ولي على هذا التصور من أستاذنا البنَّا التعقيبات الآتية :

١. أنَّ نسبة النحاة الكشف عن المعاني النحوية إلى العلامة الإعرابية ، لا يعني العلامة هكذا مجردة ، وإنما يعنيها ويعني النظرة الفلسفية التي تقف خلفها وهي

فكرة العامل التي قام عليها النحو كله ، ولا سبيل إلى الوقوف على المعاني النحوية دونها ، وهي دليل عبقرية الأوائل وتوفيق الله لهم .

فحين نقول إن العلامة الإعرابية كشّافة عن المعاني فنحن نعني العلامة الظاهرة والفلسفة النحوية التي فسّرتها .

٢. أنَّ قول النحاة إن الإعراب هو الذي يدل على المعاني ، لا يعني نفي هذه الدلالة عن بقية القرائن ، فلها نصيبها من ذلك والإعراب أقواها .

٣. أنَّ اهتمام النحاة بالعلامة الإعرابية دون غيرها من القرائن دليل حكمتهم وتوفيق الله لهم ؛ لأنك إذا تأملت غيرها كـ(الرتبة ، والبنية ، والمطابقة ، والربط ، والتضام ، والأداء ، والسياقين المقامي والمقالي ومنه الأداء) وجدتها مما لا يفقد مع الزمن ، ولا يتأثر بمخالطة العوام والعجم ، ومما لا يحتاج في تعلمه إلى الدرس والتكلّف ، بل إنها مما لا تفقده السليقة ، فأنت غير واجد متحدثًا يخلط بين سياق الشرط والاستفهام ، ولا آخر يدخل حرف الجر على الفعل . ولن تجد ناطقًا يقول (حضر زيد !) بنغمة الاستفهام وهو يريد الخبر .

ومما نستأنس به على أن (الأداء المنغم) لا يحتاج إلى التعلم كالإعراب قول د.تمام حسان : " والتنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجّل ولا مدروس . ومن ثم تخضع دراستنا إياه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النطقية في اللهجات العامية .

وفي دراستي للهجة عدن وقفت بواسطة الملاحظة التي أيدتها تجارب المعمل في بعض نتائجها على نظام التنغيم في اللهجة ثم حاولت أن أقارنه بكلامي أنا باللغة الفصحى فوجدت الفروق طفيفة جدًّا ، بحيث يمكن مع قليل من التعديلات أن يمثل هذا التنغيم كلامي بالعربية الفصحى "(١٣٨) .

وإذا كان هذا التقارب الشديد بين تنغيم الأداء المعرب وبين تنغيم لهجة عدن فالمقاربة بينه وبين غير لهجة عدن سيكون أكبر بكثير .

٤. أنَّ وظيفة العلامة الإعرابية ليست تزويد الأداء بسمت من العذوبة والجمال فحسب ، فإنَّ العلامة الإعرابية لها مهمة إفهامية ومهمة إيقاعية ، وهي في ذلك كالعين في الرأس : هي عضو الإبصار وهي مكمن الفتنة والجمال ، كما قال أستاذنا د.سليمان بن إبراهيم العايد (١٣٩). وإنَّ محاولة د.البنَّا قصر وظيفة الحركة الإعرابية على الناحية الجمالية ، وتجريدها تقريبًا مما عداها لهو تهوين من شأن الإعراب دون شك .

أظن بعد هذا أنَّ الناظر لو وضع هذه الأمور في حسبانه لما نسب الفضل في الدلالة النحوية إلى (الأداء المنغم) وحده .

ب. وأما ما ذكره من أنه قد فات الأوائل الاهتمام بوصف الأداء وتقنينه صوتيًّا ، وأنه كان ينبغي لهم اتباع ابن جني في تحليل الأداء ، فنقول :

١. إنَّ وصف الأداء وقيمه الصوتية في غاية الصعوبة ، ولا يستطيع الوصف إدراكها ونقل تفصيلاتها وهذا ما فات د.البنَّا التنبه إليه ، يقول د.تمام حسان : "نعني بالقيم الصوتية تلك الخصائص التي تتمايز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من المعاني يسمى (المعاني الطبيعية) ، التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية ؛ لأنها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة ، فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النعمة الموسيقية تطرب لها ثم لا تستطيع أن تقول : لم طربت ؟" (١٤٠) .

والدليل الأكبر على صعوبة وصف تلك القيم الأدائية أنَّ أستاذنا البنَّا نفسه لم يقدِّم إلا مثالًا واحدًا على فكرة الأداء التي طرحها ودافع عنها وناضل من أجلها

ونسب إليها كلَّ فضل في تحديد المعاني النحوية ، وذلك في حديثه عن آية البقرة السابق ذكرها ، وقد جاء وصفه للأداء مع كلِّ إعراب وصفًا عامًا ، كقوله : (نغمة هادئة مطمئنة) (أداء هادئ) (أداء صاعد مصحوب بنبرة عالية ثم يهبط) . وكذلك كل وصف في هذا السياق من د.البنَّا ومن غيره لا يستطيع أن يتجاوز أمثال هذه الألفاظ المعممة .

ثم إنَّ د.البنَّا لم يحاول تقديم الوصف نفسه لآيات أخرى استشهد بها وذكر اختلاف النحاة في إعراب بعض ألفاظها ، فقد أورد الخلاف في إعراب (كلالة) من قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ [النساء : ١٢] بين أن يكون حالًا أو خبرًا لكان أو مفعولًا لأجله . ولكنه لم يصف لنا الأداء مع كل إعراب من هذه الأعاريب البتة !!!

واستشهد كذلك بست آيات غير هذه الآية(١٤١) ، وتجاهل التعليق على طريقة أدائها على الرغم من تحمسه أثناء التنظير في تحميل الأداء ما لا يحتمل .

٢. إنَّ ابن جني الذي ذكر د.البنَّا أن له سبقًا في تحليل الأداء ، تكلم كلامًا طويلًا(١٤٢) عن أهمية مشاهدة أحوال العرب ووجوهها لإدراك ألطف أغراضها ومقاصدها ، ولاشك أن الأداء داخل في ذلك ، ثم قال : " وليست كل حكاية تروى لنا ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له المقترنة ،كانت ، به . نعم ولو نقلت إلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها "(١٤٣) فهذا نصٌ من ابن جني على أن وصف تلك الأحوال محدود الفائدة .

إذن لا تفسير لمطالبة د.البنَّا القدامى بشرح أداء الكلام مع كل شاهد ، وتفسير تعدد الإعراب بغياب ذلك الوصف دون تقديم نماذج كافية إلا أن يكون ذلك من التنظير لفكرة عقلية مجردة لا تأوي إلى ركن شديد .

وبعدُ :

فيمكن إيجاز أهم نتائج هذا البحث في النقاط الآتية :

- أن أداء الكلام كان صورة من صور افتنان العرب في لغتهم وافتتانهم بها ، وأنَّ كثيرًا من القبائل والأفراد قد بلغوا في ذلك غاية الإبداع والإتقان .
- إنَّ الأداء بعناصره المختلفة من وقف ووصل ، وسكت ، وروم ، وإشمام ، واختلاس ، وتنغيم له أثره الواضح في المعنى والإعراب معًا كما ذكرنا في الوقف والابتداء والسكت ، وفي الإعراب فحسب كما هو الحال في الروم والإشمام والاختلاس ، وفي المعنى وحده تارة وفيه مع الإعراب تارة أخرى كما هو الحال في التنغيم ، ولكن يجب أن نضع الأداء في موضعه الصحيح بين القرائن المختلفة فهو لا يحل محل العلامة الإعرابية في الدلالة على المعنى ولا يقاربها ، ولكنه يسهم بحظه في تكوين تلك الدلالة .
- أنَّ (أداء الكلام) هو سبب الإلغاز في عدد كبير من الألغاز النحوية ، التي لا تكون ملغزة إلا حين تؤدى بطريقة تتعمد التعمية والإلغاز .
- أنَّ المراتب التي ذكرها أهل القراءات لتلاوة القرآن ، وهي (الترتيل ، والحدر، والتدوير) يمكن أن تكون صورة لما كانت عليه طبيعة أداء العرب للغتهم في عصور الفصاحة .
- أنَّ اهتمام النحاة القدامى بضبط العلامة الإعرابية ، وتسخير النحو لذلك تأليفًا وتدريسًا عن طريق فكرة العامل ، لا يعني جهلهم بالقرائن الأخرى التي أثير الحديث عنها في العصر الحديث ، كما أنَّ ما فعلوه كان غاية الحكمة ومنتهى التوفيق ؛ لأن ما عدا العلامة الإعرابية من القرائن لا يفقد مع الزمن ، ومما لا يحتاج في ضبطه إلى الدرس والتعلم .

هوامش البحث

(١) لسان العرب ، مادة (أدا) .

(٢) رواه أبو داود ، وسنده حسن . ينظر : رياض الصالحين ، ص ٢٥٠ .

(٣) رواه أبو داود بإسناد جيد ، قاله النووي . ينظر : السابق ، ص ٣٢٩ .

(٤) السابق .

(٥) رواه أبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن . ينظر : السابق ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

(٦) البيان والتبيين (١ / ٢٧١) .

(٧) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن . ينظر : رياض الصالحين ، ص ٥٠٩ .

(٨) حديث متفق عليه ، ينظر : فتح الباري (٩ / ٢٠١) .

(٩) صحيح البخاري ، الحديث رقم (٦٥٦٦) .

(١٠) ينظر : غريب الحديث (٢ / ٤٢) .

(١١) ينظر : لسان العرب ، مادة (ل ح ن) .

(١٢) الخصائص (١ / ٢٤٣) .

(١٣) السابق (١ / ٢٢١) .

(١٤) البيان والتبيين (١ / ٥٧) ، وقوله (حِيَفْس) مثل (هِزَبر) أي قصير سمين . ينظر: لسان العرب ، مادة (ح ف س) .

(١٥) البيان والتبيين (١ / ٣٥٠) .

(١٦) السابق (١ / ١٧٤) .

(١٧) السابق (١ / ١٤٦) .

(١٨) ينظر : السابق (١ / ١٤٦) .

(١٩) كناية لابن جني مشهورة ، كنى بها عن طول تأمل المسائل وتدبرها ، ينظر مثلا : الخصائص (١/١١٧،١٩٩) .

(٢٠) من قول المتنبي :

بليت على الأطلال إن لم أقف بها   وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه .

ينظر : شرح ديوان المتنبي (٤/ ٤٦).

(٢١) البرهان للزركشي (١ / ٢٤١) .

(٢٢) ينظر ما جمعته د. خديجة أحمد مفتي في رسالتها (الوقف والابتداء عند النحاة والقراء) من التواليف ص ٢٢ - ٢٩ .

(٢٣) اختلف العلماء في هذه الأقسام فمنهم من جعلها ثمانية ومنهم من جعلها ثلاثة ومنهم من توسط بين ذلك ، وهم جميعًا متفقون على أصل المسألة (وهو وجود مواضع يجوز فيها الوقف ومواضع لا يجوز فيها) واختلفوا في التفريعات . وما أثبته هو المختار عند ابن الجزري . ينظر : في هذه الأقسام : التحديد في الإتقان والتجويد ص ١٧٤ ، ١٧٥، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء ص ١١٠ - ١٢٠ ، والوقوف اللازمة في القرآن الكريم ص ١٢ - ١٧ ، والنشر (١ / ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

(٢٤) النشر (١ / ٢٢٩) .

(٢٥) التحديد في الإتقان والتجويد ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢٦) المترجم والمترجم عنه مصطلحان كوفيان يعنيان البدل والمبدل منه .

(٢٧) إيضاح الوقف والابتداء (١ / ١١٦ - ١١٩) .

(٢٨) منار الهدى (٣٦ ، ٣٧) .

(٢٩) السابق ص ٣٧ .

(٣٠) ينظر في بدايات هذه الرموز وتاريخها : الوقف والابتداء عند النحاة والقراء ص١٢٤- ١٤١ .

وينظر مصحف المدينة النبوية ، التعريف بالمصحف في آخره ص (ي) .

(٣١) هذه القسمة للوقوف لا تتعارض مع القسمة السابقة ؛ لأن (الوقف اللازم) يقع في التام والكافي ، و(الوقف الممنوع) يقع في القبيح والحسن ، و(الوقف الجائز جوازًا متساويًا) و(الوقف الجائز مع كون الوصل أولى) يقعان في (الكافي) ، و(الوقف الجائز مع كون الوقف أولى) يقع في التام . فالقسمة الأولى عامة وهذه الأقسام تفريعات أخص منها .

ينظر : غاية المريد ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣٢) منار الهدى ص ١٦٠ .

(٣٣) البحر المحيط (٧ / ٧٠) .

(٣٤) ينظر : منار الهدى ص ٢٣٠ .

(٣٥) ينظر مزيدٌ من هذه النماذج مشروحة ومعلقًا عليها في : الوقوف اللازمة في القرآن الكريم من ص ٢١ إلى آخر الكتاب ، ودور النحو في العلوم الشرعية (١ / ١٩٣ - ٢٠١) .

(٣٦) ينظر : القطع والائتناف ص ٥٤٨ .

(٣٧) ينظر : إيضاح الوقف والابتداء (٢ / ٨٢٣ ، ٨٢٤) .

(٣٨) ينظر :الدر المصون (٨/ ٦٩١) وينظر كلام الطبري في تفسيره جامع البيان (١٩/ ٦١٠،٦١١) .

(٣٩) جامع البيان (١٩/ ٦٠٨) .

(٤٠) الدر المصون (٨/ ٦٩١) .

(٤١) الكشاف (٣/ ٤١٣) .

(٤٢) وهو مذهب شريح القاضي ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة ، ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٧٩) .

(٤٣) وهو مذهب جمهور الفقهاء ، ينظر : السابق .

(٤٤) ينظر تفصيل القول في هذه المسألة في القطع والائتناف ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٤٥) هذه الرسالة مجهولة المؤلف ، وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية . وانظر تعليق د. خديجة مفتي عليها في رسالتها (الوقف والابتداء عند النحاة والقراء) ص ١٢١ – ١٢٣ .

(٤٦) ينظر : البرهان (١ / ٢٤١) .

(٤٧) لمزيد من التفصيل في أثر الوقف وأحكامه ينظر : القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ، ص ١٥٨ – ١٦٠ .

(٤٨) ينظر : أسباب التعدد في التحليل النحوي ص ١٢٨ .

(٤٩) ينظر في ذلك : الإنصاف (٦٦٦ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (١ / ١٧٠ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤) و (٢ / ٣٠ ، ٢١٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٥٤ ، ٣٨٧ ، ٥٢٢)

وينظر كذلك : الوقف والابتداء عند النحاة والقراء ص ٣٠٢ – ٣٢٢ .

(٥٠) ينظر : النشر (١ / ٢٤٠ – ٢٤٣) .

(٥١) ينظر : جهد المقل ص ٢٨٣ – ٢٨٦ ، والبرهان في تجويد القرآن ص ٩١ – ٩٢ .

(٥٢) ينظر : جهد المقل ص ٢٨٣ – ٢٨٦ ، وغاية المريد ص ٢٩٣ .

(٥٣) مغني اللبيب (٦ / ٣٠ ، ٣١) .

(٥٤) ينظر : منار الهدى ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

(٥٥) البحر المحيط (٨ / ٣٨١) .

(٥٦) البيان في غريب إعراب القرآن (٢ / ١٣٩) .

(٥٧) ينظر : غاية المريد ص ١٨١ – ١٨٣ .

(٥٨) ينظر لمزيد من التفصيل : الوقف والابتداء عند النحاة والقراء ص ١٩٠ – ٢٠٦ ، غاية المريد ص ١٨١ – ١٨٩ .

(٥٩) الكتاب (٤ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

(٦٠) عن : الإعراب سمة العربية الفصحى ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٦١) السابق : ٢٩ .

(٦٢) الخصائص (١ / ٧٣ ، ٧٤) .

(٦٣) السابق (٢ / ٣٤٢) .

(٦٤) البيان في غريب إعراب القرآن : (١ / ١٧٢) .

(٦٥) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٦٦) ينظر : أوجه التنظير عند ابن جني من ص ١٤٢ - ١٤٨ . وينظر ص ٩٣ - ٩٩ .

(٦٧) ينظر : السابق ص ١٤٧ ، ١٤٨ وحواشيهما .

(٦٨) الإعراب سمة العربية الفصحى ص ٣٠ .

(٦٩) ينظر : أوجه التنظير عند ابن جني ص ١١١ - ١١٣ ، وينظر فيه ص ١٣٥.

(٧٠) ينظر : ظاهرة الإشباع في العربية .ص ٧٩ .

(٧١) ينظر : السابق ص ٧٥ وما بعدها .

(٧٢) ينظر : المحتسب (١/ ٢٥٨) .

(٧٣) ينظر : شواهد التوضيح والتصحيح ص ٢٢، ٢٣ .

(٧٤) ينظر : الخصائص (٢/ ٣١٧ ، ٣١٨) .

(٧٥) ينظر : سر صناعة الإعراب (١/ ٢٣ – ٢٧) .

(٧٦) المحتسب (١/ ٣٤٠) .

(٧٧) السابق (٢/ ١٦٣) .

(٧٨) ينظر كتاب : ظاهرة الاجتزاء في العربية .

(٧٩) السابق ص ١٨١ .

(٨٠) ينظر : أوجه التنظير عند ابن جني : ص ١٣٦ - ١٤١، وينظر أيضًا:كتاب سيبويه (١/ ٢٦ – ٣١)(٣/ ٤٤٤-٤٤٥)(٤/ ١٨٤، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٣٧٠) والإنصاف (٢/ ٥٤٥-٥٤٧) وشرح التسهيل (١/ ١٣٢) والتذييل والتكميل (٢/ ١٦٨ ، ١٦٩) وتعليق الفرائد (٢/ ٥٠ ، ٥١) .

(٨١) ينظر : الخصائص (٣/ ١٣٥ – ١٣٨) .

(٨٢) ينظر : الكشاف (٢/ ٤١٣) .

(٨٣) ينظر : المحتسب(١/ ١٨١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٧٧ ، ٢٩٨ – ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٩) (٢/ ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٩٩ ، ٢٣٣ ، ٢٥٧ ، ٣٥٠) .

(٨٤) ينظر : سر صناعة الإعراب (٢/ ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨) .

(٨٥) كتاب سيبويه (٤/ ١٨٥) .

(٨٦) سر صناعة الإعراب (٢/ ٤٧١) .

(٨٧) أسباب التعدد في التحليل النحوي ص ١٢١ .

(٨٨) انظر : القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ص ١٥٤-١٥٦ ، والأصوات اللغوية ص ١٢٧ – ١٤٣ ، والبيان في روائع القرآن (١ / ١٧٥ وما بعدها) واللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين ص ٥٣ – ٥٥ .

(٨٩) القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ص ١٥٤ .

(٩٠) المحتسب (٢ / ٢٠٨) .

(٩١) السابق (٢ / ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(٩٢) السابق (٢ / ٢١٠) .

(٩٣) ينظر : القراءة الجهرية بين الواقع وما تتطلع إليه ص ١٥٤-١٥٦ .

(٩٤) السابق ص ٢٩ .

(٩٥) دلائل الإعجاز ص ١٥ .

(٩٦) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٨ .

(٩٧) الخصائص (٢ / ٣٧٢ ، ٣٧٣) ينظر : المحتسب (٢ / ٢٠٩) .

(٩٨) ينظر لسان العرب (ط و ح) و (ط ر ح) .

(٩٩) الخصائص (٢ / ٣٧٣) .

(١٠٠) التنغيم في التراث العربي ص ١٢١٦ .

(١٠١) أسباب التعدد في التحليل النحوي ص ١٢٤ .

(١٠٢) (٢ / ٥٤) نقلًا عن القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ص ٢٨ .

(١٠٣) مغني اللبيب (١ / ٧٦ ، ٧٧) وينظر : الكامل للمبرد (٣ / ٧٩١ ، ٧٩٢) وفيه أوجب الإخبار ومنع الاستفهام وعده خطأ فاحشًا ؛ لأنه لا يجيز حذف همزة الاستفهام من غير دليل في الكلام عليها .

(١٠٤) مغني اللبيب (١ / ٧٧ ، ٧٨) .

(١٠٥) شرح ديوان المتنبي (٣ / ١٢) .

(١٠٦) ينظر : القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، واللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١٠٧) المزهر (١ / ٥٧٨) .

(١٠٨) ينظر : كتب الألغاز والأحاجي اللغوية ص ١٢٩ - ١٩٦ ، والفريدة في شرح القصيدة ، مقدمة المحقق : ص ٣٦ وما بعدها .

(١٠٩) ينظر : كتب الألغاز والأحاجي اللغوية ص ٢١١ - ٢٣٢ .

(١١٠) مجالس العلماء ص ١٩٥ .

(١١١) التنغيم في التراث العربي ص ١٢١٧ .

(١١٢) تجد أبيات هذه الألغاز والكثير غيرها مما يستحق التأمل والنظر في كتاب (كتب الألغاز والأحاجي اللغوية) ص ٢٤٣ - ٣٣١ .

(١١٣) ينظر :الإعراب سمة العربية الفصحى ص ٩ ، ١٠ ، ١٣ - ١٨ .

(١١٤) ينظر : السابق ص ١٠ .

(١١٥) السابق ص ١١ .

(١١٦) السابق ص ١٠ .

(١١٧) السابق ص ٥ ، وينظر : ص ١١ ، وص ٦١ .

(١١٨) السابق ص ١٠ .

(١١٩) السابق ص ١٠ .

(١٢٠) السابق ص ١٣ .

(١٢١) السابق ص ١١ .

(١٢٢) الإعراب سمة العربية الفصحى ص ١١ ، وينظر ص ٦١ .

(١٢٣) السابق ص ١٢ .

(١٢٤) السابق ص ١٩ .

(١٢٥) السابق ص ١٩ .

(١٢٦) ينظر في هذه المراتب : غاية المريد ص ١٩ ، ٢٠ .

(١٢٧) أسرار العربية ص ٤٦ .

(١٢٨) السابق ص ١٦٠ .

(١٢٩) علاقة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة في اللغة العربية ، ص ١١٦ .

(١٣٠) طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٣١ .

(١٣١) الإعراب سمة العربية الفصحى ص ٦٤ .

(١٣٢) السابق ص ٦٤ ، وينظر : ص ٣٤ ، ٦٩ .

(١٣٣) السابق ص ٦٩ .

(١٣٤) السابق ص ٦٤ .

(١٣٥) ينظر : السابق ص ٦٤ ، ٦٥ .

(١٣٦) السابق ص ٦٧ .

(١٣٧) ينظر : السابق ص ٧٠ .

(١٣٨) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(١٣٩) ينظر : القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ص ١٥٣ .

(١٤٠) البيان في روائع القرآن (١ / ١٧٥) .

(١٤١) ينظر : الإعراب سمة العربية الفصحى ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٤٢) ينظر : الخصائص (١ / ٢٤٦ - ٢٥٢) .

(١٤٣) السابق (١ / ٢٤٧) .

مصادر البحث

- أسباب التعدد في التحليل النحوي ، د. محمود حسن الجاسم (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٦٦) .
- أسرار العربية ، لأبي البركات الأنباري ، تحقيق : د.فخر صالح قدارة ، ط١(بيروت ، دار الجيل : ١٤١٥هـ)
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس (مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩م) .
- الإعراب سمة العربية الفصحى، أ.د. محمد إبراهيم البنَّا (دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع) .
- الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات الأنباري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت ، المكتبة العصرية) .
- أوجه التنظير عند ابن جني ، محمد بن علي العمري (رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ١٤٢٣ - ١٤٢٤هـ) .
- إيضاح الوقف والابتداء ، لأبي بكر بن الأنباري ، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق : ١٣٩٠هـ) .
- البحر المحيط ، لأبي حيان ، دراسة وتحقيق : عادل أحمد عبد المقصود ورفاقه ، ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية : ١٤٢٢هـ) .
- البرهان في تجويد القرآن ، محمد الصادق قمحاوي ، ط٢ (القاهرة ، مكتبة ابن تيمية: ١٤١٣هـ)

- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ (بيروت ، المكتبة العصرية : ١٤٢٥هـ) .
- البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان ، ط٢ (القاهرة ، عالم الكتب : ١٤٢٠ هـ) .
- البيان في غريب إعراب القرآن ، لأبي البركات الأنباري ، تحقيق د. طه عبد الحميد طه (الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٤٠٠هـ) .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط٥ (القاهرة ، مكتبة الخانجي: ١٤٠٥هـ) .
- التحديد في الإتقان والتجويد ، أبو عمرو الداني ، دراسة وتحقيق : د. غانم قدوري الحمد، ط١ (عمّان ، دار عمار للنشر والتوزيع : ١٤٢١ هـ) .
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، لأبي حيان الأندلسي ، الجزء الثاني ، حققه أد.حسن هنداوي ، ط ١ (دمشق ، دار القلم : ١٤١٩هـ) .
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ، لبدر الدين الدماميني ، تحقيق د.محمد بن عبدالرحمن المفدى ، ط١ (دون معلومات) .
- التنغيم في التراث العربي ، د. عليان بن محمد الحازمي (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، المجلد ١٤ ، العدد ٢٣ ، الجزء الثاني ١٤٢٢ هـ) .
- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري (الرياض ، دار عالم الكتب : ١٤٢٣هـ) .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط١ (بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٢٠هـ) .

- جهد المقلّ ، للمرعشي ، دراسة وتحقيق : د. سالم قدوري الحمد ، ط١ (عمّان ، دار عمان للنشر والتوزيع : ١٤٢٢هـ) .

- الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجّار (الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٩٩م) .

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقيق : د.أحمد محمد الخراط ، ط١ (دمشق ، دار القلم : ١٤١٤هـ) .

- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط٣ (القاهرة ، مكتبة الخانجي : ١٤١٣ هـ) .

- دور النحو في العلوم الشرعية ، د. جمال عبد العزيز (رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة : ١٤١٠هـ) .

- رياض الصالحين ، للنووي ، حققه وخرّج أحاديثه : عبد العزيز رباح وزميله ، ط١٠ (بيروت ، دار المأمون للتراث : ١٤٠٩ هـ) .

- صحيح البخاري (طبعة دار الشعب ، دون معلومات) .

- سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، دراسة وتحقيق: د.حسن هنداوي ، ط٢(دمشق ، دار القلم : ١٤١٣هـ) .

- شرح التسهيل ، لابن مالك ، تحقيق : د.عبدالرحمن السيد ، د.محمد بدوي المختون ، ط ١ (القاهرة، هجر للطباعة والنشر : ١٤١٠هـ) .

- شرح ديوان المتنبي ، وضعه : عبدالرحمن البرقوقي (بيروت ، دار الكتاب العربي : ١٤٠٧هـ) .

- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك ، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط٣ (بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٣) .
- طبقات النحويين واللغويين ، لأبي بكر الزُبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ (القاهرة ، دار المعارف) .
- ظاهرة الاجتزاء في العربية ، د. هاني الفرنواني ، ط١ (الاسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: ٢٠٠٥ م) .
- ظاهرة الإشباع في العربية ، د. هاني الفرنواني (الاسكندرية ، الدار المصرية للنشر والتوزيع) .
- علاقة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة في اللغة العربية ، أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد (نادي مكة الثقافي الأدبي ، محاضرات النادي ، الجزء الرابع : ١٤١٩ هـ) .
- غاية المريد في علم التجويد ، عطية قابل نصر ، ط٤ (١٤١٤ هـ) .
- غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، الجزء ٢ ، تحقيق د. حسين محمد محمد شرف (القاهرة ، مجمع اللغة العربية : ١٤٠٤ هـ) .
- فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (القاهرة ، المكتبة السلفية : ١٣٨٠هـ) .
- الفريدة في شرح القصيدة ، لابن الخباز ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط١ (القاهرة ، مكتبة الخانجي : ١٤١٠ هـ) .
- القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه ، أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد ، بحوث ندوة : ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية (الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٨هـ) ، المجلد الثالث ص ١٢٥ – ١٧٣ .

- القطع والائتناف ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : د. أحمد خطاب العمر ، ط١ (بغداد ، مطبعة العاني : ١٣٩٨ هـ) .
- الكامل للمبرد ، تحقيق د. محمد أحمد الدالي ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤١٨ هـ) .
- كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط١ (بيروت ، دار الجيل) .
- كتب الألغاز والأحاجي اللغوية وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة ، أحمد محمد الشيخ ، ط٢ (ليبيا ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع : ١٣٩٧ هـ) .
- لسان العرب ، لابن منظور ، ط١ (بيروت ، دار صادر : ١٩٩٧م) .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان (الدار البيضاء ، دار الثقافة : ١٩٩٣م) .
- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين ، د. نادية رمضان النجار (الاسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر) .
- مجالس العلماء ، للزجاجي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ (القاهرة ، مكتبة الخانجي : ١٤٠٣ هـ) .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق : علي النجدي ناصف وزميله (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ١٤٢٠ هـ) .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، شرحه : محمد أبو الفضل إبراهيم وزميلاه (بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤١٢ هـ) .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ، تحقيق وشرح : د. عبد اللطيف الخطيب ، ط١ (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : ١٤٢٣ هـ) .

- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء ، للأشموني ، ط٢ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩٣ هـ) .

- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري (بيروت ، دار الكتب العلمية) .

- الوقف والابتداء عند النحاة والقراء ، خديجة أحمد مفتي (رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى : ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ) .

- الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب ، د. حمدي عبد الفتاح ، ط١ (١٤١٦ هـ) .